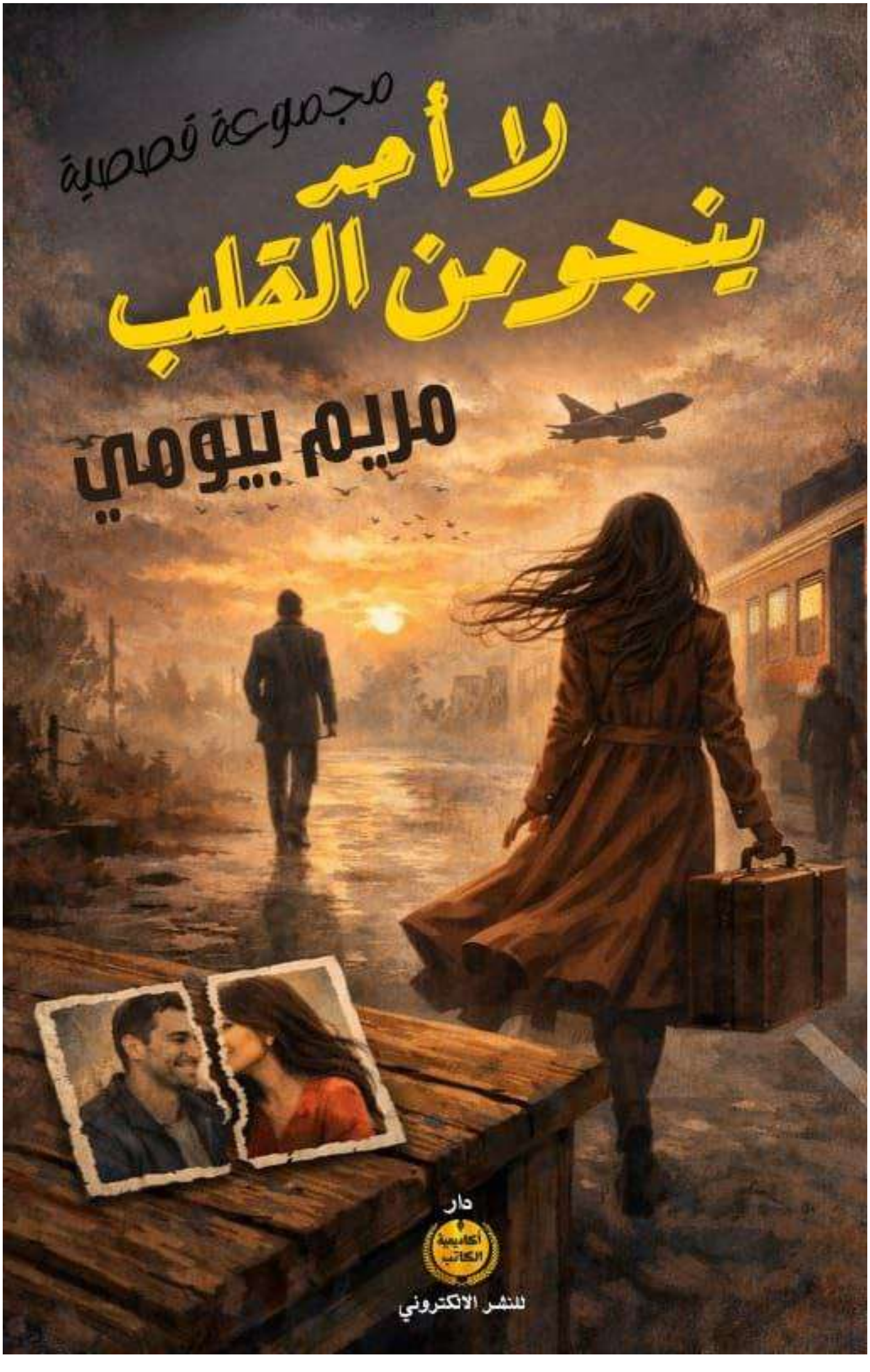
مجموعة قصصية
لا أحد
ينجو من القلب
مريم بيومي
دار
أكاديمية الكاتب
للنشر الالكتروني

لا أحد ينجو من القلب

مجموعة قصصية

مريم بيومي

دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

رئيس مجلس الإدارة: محمود كمال

المدير العام: محمد حسن

الطبعة الأولى

الكتاب: لا أحد ينجو من القلب

المؤلف: مريم بيومي

تصنيف الكتاب: مجموعة قصصية

تدقيق لغوي: محمد حسن

تصميم غلاف: عائشة عمارة

تنسيق وإخراج داخلي: محمود كمال

المقاس١٤* ٢٠

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-09-1-260103

التليفون : ٠١١١٢٣٥٧٤٧٣

Email:alkatebacademyforpublishing@gmail.com

موقعنا على فيس بوك: دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء الكاتبة	٦
آخر يوم في الحب	٨
الناشر الصغير	١٣
شيء من نبوءة	١٥
طفلة الحب	١٧
العصفورة	٢٠
رخصة قارئ	٢٥
انقاض حب	٣٠
بين الحب والاختيار	٣١
مشاعر على استحياء	٣٤
ذكرى	٣٧
رسالة لرفيق بؤسي	٣٩
قبل أن تبرد المسافة	٤٠
حلم على صفحة الماء	٤٢
حب لا يصلح الخسارة	٤٤
مدينة الذكريات	٤٨
ربيع النصر	٥٠

مسوخ من رحم الطفولة	٥٢
إشراقة حب	٥٤
عهد الزغاليل	٥٥
أنا ملاذك حينما تضيق دُنياك	٥٦
أحبك بلغة الروايات	٥٧
مسرحية أنا مش ضدك أنا فيك	٥٩

إهداء

الإهداء لجدتي رحمها الله.

والشكر لكل الداعمين في حياتي:

أبي وأمي وأخي عبدالله بيومي

وأستاذ محمود كمال وأستاذ محمد حسن

وعائشة عمارة وحبيبة رجائي ورقية رجائي

والمستشار تامر كمال ومؤمن الحسيني

مريم بيومي

"لا أحد ينجو من القلب"

ثمة لحظات لا تُروى بسهولة، لكنها تُلحّ على الذاكرة كلما اقترب الليل، وتضغط على الورق حتى يُنزف.

في هذه الصفحات، لا توجد بطولة ولا نهايات عادلة، فقط قلوب تحاول أن تشرح ما لا يُشرح، ونساء واقفات عند حدود السؤال: "لماذا؟ وكيف؟ وهل كان حبًا أم مجازًا؟"

قصص كُتبت من الداخل، من حيث يبدأ الارتباك وينتهي الكلام.

لأننا ـ ببساطة ـ لا ننجو من القلب، حتى وإن فعلنا كل ما بوسعنا لنبدو بخير.

مريم بيومي

١

(آخر يوم في الحب)

في وقتٍ متأخر من الليل، جلست فرح على مكتبها.

ليست لتكمل قصصها المبتورة، بل لتسرد تساؤلاتها، تلك التي لا تستطيع مشاركتها مع أحد.

لم تكن تخشى السخرية، لكنها فقط لا تملك شخصًا يُحسن الاستماع دون أحكام أو مجاملات.

كانت تكره النفاق، وتشمئز من العبارات التي تُقال فقط لإرضائها لا لفهمها.

اندمجت في أفكارها:

لماذا يصبح الإنسان أكثر لامبالاة وأنانية كلما كبر؟

ولماذا يعشق الجميع القمر ويتغزّلون به، بينما الشمس هي التي تمنح الضوء؟

ولماذا يكون المحبّون.. مفارقين دومًا؟

قطع تأملها صوت رنين هاتفها.

زفرت بضيق، فمن يتصل في هذا الوقت غير المناسب؟

رقم غير محفوظ، على الأرجح لا جدوى منه، لكنها تثاقلت حين لمحت الاسم..

إنه هو.

الحبيب المفارق.

شهقت بين الذهول والإنكار، هل تتوهم مجددًا؟

لكن لا.. إنها نغمة صوته، اسمه، الارتباك في قلبها صدّق قبل أن تتأكد عيناها.

ضحكت بسخرية، هي أنثى، وإن كان في مأزق، فلن تقول له مثل الأفلام: "أنت فين؟ خليك مكانك، جاية لك حالًا."

والأدهى من ذلك أنها تعلم جيدًا أن الشوق لا يعيده.

في آخر مكالمة بينهما، سمعته يقول بكل حسم: "دي آخر مرة هنتكلم فيها."

لكن الرنين لا يتوقف.

أجابت، بأصابع مترددة، ورفعت الهاتف إلى أذنها.

كان صوته أول ما وصلها.. تنفّسه، تحديدًا، ذاك النفس الذي تحفظه كأغنية حزينة.

قال:

- ألو؟

ردّت:

- ألو.
- عاملة إيه؟
- الحمدلله. وانت؟
- تمام.
- دايمًا يا رب.
- يا رب.

وساد الصمت.

لكنه كسره قائلًا:

- جيتي على بالي، قلت أطمن عليكِ.

ردّت بمرارة لم تحاول إخفاءها:

- أول مرة أجي على بالك من ساعتها؟ معقول البنات كتيرة للدرجة دي؟
- لأ، بتيجي على بالي كتير.. بس ساعات مش بكون فاضي أكلم.
- ودلوقتي فاضي؟
- أقفل؟
- لأ، مش قصدي. بس.. المكالمة اللي فاتت كانت بتقول إنها "الأخيرة".
- وانتي؟ لسه شايفانا مينفعش نتكلم؟
- فرق إيه دلوقتي؟
- بيفرق كتير.. إحنا يمكن مش هنكمل، بس لسه محتاجين بعض.

تنهّدت، ثم سألته بهدوء حذر:

- مش يمكن وجودنا في حياة بعض أكتر يخلينا نكره بعض؟
- لما نكره بعض، يبقى إحنا لسه مستنيين من بعض.

عارفة إحنا هنفقد الحب امتى؟ لما نبطل نسأل نفسنا كل يوم: "يا ترى لسه بيحبني؟"

لما تبطلي تسألي السؤال ده.. اعرفي إنك بطلتي تحبيني.

سكتت، ثم قالت بهمس:

- وانت لسه بتسأله لنفسك؟

ضحك بخفّة مرّة:

- ودنك منين يا جحا.. آه، لسه بحبك، وعارف إن حبك لعنتي اللي هتفضل معايا طول العمر.

هكمل حياتي، بس كل ما أتعثر في ذكراك، قلبي هيدقّ نفس الدقة اللي ما عرفهاش غير معاكي، الدقة اللي تشبه عزف كمان لسه جديد.

سألته، متحاشية نظرة افتراضية كانت ستفضح ضعفها:

- وليه جاي تقول ده دلوقتي؟
- زعلانة إني لأول مرة بكون صريح مع نفسي ومعاكي؟

ده عرض بيتقدملك ببلاش أهو.. المفروض تفرحي!

قالت بهدوء مريب:

- الحقيقة.. مش فاضية. مصدومة.
- طب خلصي صدمتك براحتك.

واستمرا يتحدثان.. يتسامران حتى بدأ الصباح يستيقظ من سباته.

أنهت المكالمة، لكنه نام مطمئنًا كليالي ألف ليلة وليلة.

أما هي، فلم تكن سعيدة.

كيف استطاع تجاوز كل تلك الجراح؟

كيف نسي كلماته القاسية في المكالمة السابقة؟

وكيف تحدث ببساطة، وكأنه لم يتركها تنهار؟

هي لا تزال تحبه، بل تعشقه.

لكنها حين سمعت صوته.. شعرت بالغثيان.

صمتت كي لا يشعر.

فما جدوى العتاب؟

سيُقابَل بسيلٍ من تبريرات مملة، تثير غضبها أكثر من الجرح ذاته.

هي فقط لا تملك الطاقة لتخوض هذا كله من جديد.

ستتحمل ذنب الإجابة.. ثم تمضي.

أدركت أنها لن تستطيع النوم، رغم السهر الطويل.

قامت تصنع قهوتها، وبدأت تنظيف المنزل بجنون.

قلبت كل شيء رأسًا على عقب.. تعبًا وهربًا.

وحين انتهت، كانت الظهيرة قد اقتربت، فاغتسلت، ونامت.

استيقظت قبيل المغرب، فوجدت مكالمة فائتة.

زفرت.

ظنت أن النوم سيمحو أثر المكالمة، لكن صوت الهاتف أكّد أن الحلم لم يكن حلمًا.

سألت الله أن يُخفف عنها،

فلم تشعر في صوته بندم،

بل بدا وكأنه جاء ليُطفئ شوقه..

ويتركها تشتعل وحدها.

آه.. كم ليلةٍ بكت فيها لتسمع صوته؟

وهو الآن، بكل بساطة، يكلمها!

كفى.

إن كانت تحبه، فستحبه من بعيد،

لأن البُعد لا يجرح.

ولأن الوصال عنده مؤذٍ.. جارح.

قررت تجاهل المكالمة.

حضّرت طعامها، وجلست تقرأ رواية جديدة.

لقد اكتفت من المعاناة.

* * * *

٢

(الناشر الصغير)

في أحد شوارع مدينة براغ، في بريطانيا، وبينما كان الشتاء يزفر أنفاسه الباردة في يومٍ من أيام شباط.

جلس شاب يافع في بداية عمره على مكتبٍ خشبي يطلّ على غرفة تشبه القبو؛ غرفةٍ تفيض بالأوراق، والمطابع، والحبر.

ورغم الفوضى التي تعمّ المكان، فإنها في نظر چان لم تكن إلا جنة مصغرة.

إنه چان مارتن، ابن العشرين، وصاحب أول جريدة في مدينة براغ.

شاب يجمع بين الذكاء والحدة، شغوفٌ بالقراءة، وخصوصًا في التاريخ. كانت مكتبة جدّه أشبه بمصنعٍ سريّ لصناعة الأحلام،

هناك بدأ إدمانه للورق ورائحته.

نشأ چان وتربى مع جدّه الوحيد، الرجل الذي لم يكن يملك من الدنيا إلا بيتًا صغيرًا على أطراف المدينة ومكتبةً كبيرةً لبيع الكتب، يقضي فيها چان معظم وقته.

لم يكن مهتمًا بالمدرسة كثيرًا، ولحسن حظه – أو ربما لسوء حظ العالم – قامت الحرب العالمية الثانية، التي التهمت اليابس والأخضر.

وفي ظلّ ذلك الخراب، كان يساعد جدّه في إدارة المكتبة، كما لو كانت آخر مكان آمن في الكون.

وذات يوم، زارهم محافظ المدينة، برفقة ابنته الوحيدة، إليزا، ذات العينين الخضراوين، والشعر البندقي المجدول في ضفيرة واحدة. كانت في العاشرة من عمرها.

نادى الجدّ على چان، وطلب منه أن يصطحب الصغيرة لتنتقي ما ترغب من كتب الأطفال.

اختارت إليزا مجموعة كبيرة من الكتب، وعرف چان اسمها حين ناداها والدها لأن موعد الغداء قد اقترب.

طلب الجدّ من چان أن يساعدهم في حمل الكتب إلى العربة، فقد كانت الكمية كبيرة.

وخلال الحديث، علم چان من المحافظ أن إليزا تُنشئ مكتبةً صغيرةً في غرفتها.

كان قلبه يدقّ على إيقاع جديد لم يعتده من قبل.

ومع اشتداد الحرب، أيقنت بريطانيا أن الكلمة قد تكون سلاحًا لا يقلّ أهمية عن الرصاصة.

بدأت المطابع تنتشر في المدن كالنار في الهشيم، لتتحوّل الصحف إلى سلاحٍ فكريّ.

حين سمع چان بذلك، توجّه فورًا إلى المحافظ، وطلب منه ترخيصًا بإنشاء صحيفة.

كان شابًا طموحًا، واسع الاطلاع، وقد بدا المحافظ مُعجبًا بروحه، فمنحه الترخيص.

بدأ چان بجمع جميع الصحف المتاحة، يقرأها ويدوّن ملاحظاته، ثم يذهب إلى منزل المحافظ يناقشه في أخبارها ومضامينها.

وهناك.. كانت إليزا. الطفلة التي بدأت تتحوّل أمام عينيه إلى فتاة.. ثم إلى حبٍ صامت.

وقع في عشقها منذ أول لقاء، لكنه لم يبح بشيء، خشية أن يخسر ثقة والدها، فكتم الحبّ في صدره كمن يخفي شمعةً في عاصفة.

وبعد شهر، تم الانتهاء من إعداد الصحيفة الأولى، وانتشر صداها في المدينة.

لم يكن الأمر عاديًا.. فقد كانت أول جريدة تُنشأ في براغ، وصاحبها شاب في العشرين.

أصبح الناس يتحدثون عن "الناشر الصغير"،

ذلك الشاب الذي استخدم الورق سلاحًا، وجعل من الحبر درعًا، ومن الحلم طريقًا.

* * * *

٣

(شيء من نبوءة)

منذ وفاة جدتي، وأنا أحرص على زيارتها وقت الغروب، إذ تكون المقابر آنذاك هادئة، والجو منعش، خاصة في هذا الصيف.

في الممر المؤدي إلى قبر جدتي، توجد ثلاثة قبور مبنية لكنها فارغة. وضعت رأسي عند موضع رأس جدتي، كأنها تُمَسِّد عليه، وبحتُ لها بما يضجّ به صدري من خواطر وأفكار. ظللت أتأمل القبور الفارغة، وقد أحببتها وشعرت كأنني أنتمي إليها.

أفقت من شرودي على صوت ولدين صغيرين قادمين من أقاصي المقابر، يحمل كلٌّ منهما دلوًا فارغًا. قالا لي: –أتوزّعين؟ (من بعض العادات الغريبة في المقابر: توزيع "قرصة سادة، وموزة، وخيارة، وتمر").

– أتوزعان أنتما؟
– نعم، سنوزع بعد قليل.
– حسنًا.. حينما توزعا، ستجداني هنا.

لم أعرف من ابتكر هذه العادات، ولم أهتم كثيرًا، فقد تأخر الوقت. الشمس غابت، والظلام بدأ يزحف إلى السماء.

استدرت لأودّع جدتي قبل رحيلي، فشعرت بأن أحدًا يجلس بجانبي. التفتُّ فوجدت امرأة متشحة بالسواد، تبدو في عقدها السادس، ورغم ذلك، بدت أكثر صحةً مني.

قالت بصوت هادئ حاسم: – اذهبي من هنا، ولا تعودي مجددًا.

نظرتُ إليها بحدة. لا شك أنها من ساكني هذا المكان؛ فالملابس وطريقة الكلام تفضحهم. هؤلاء يعرفون الداخل والخارج، كأنهم حراس خفيّون للموت. هم أشبه بالغجر، يتقنون قراءة الكف والفنجان وطرد الأرواح، ويشغلهم الفضول. ورغم ذلك، وجدتني أرتبك، لا أعلم لماذا، فقلت لها بحدة وقلة ذوق: – من أنتِ حتى تمنعيني من زيارة جدتي؟

ومضت عيناها بغضب، ونبرة صوتها علت حدةً على حدتي، وقالت بصوتٍ أجشّ: – قلتُ لكِ: اذهبي من هنا فورًا.

كنت على وشك المغادرة، لكنني عنيدة ولا أقبل الأوامر. فرددت بعناد: – لن أذهب، فهذا المكان ليس ملك أبيكِ حتى تتكلمي معي بهذه الطريقة.

ومن الواضح أنها التمست عنادي، فردّت بصوت قوي لكنّه خافت قليلًا: – إن أردتِ، تعالي لزيارة جدتك، ولكن لا تأتِ إلى هنا وحدك مرة أخرى، خاصة في مثل هذا الوقت.

صمتت لحظة، ثم أكملت ببطء كمن يكشف عن سر: – وإن لم تصدقيني، فلماذا يا تُرى تداهمك الكوابيس منذ يوم الجمعة الماضية؟ حين أتيتِ مع زوجة عمك، وأصرت على أن تزوري "القبة العالية" هناك.. والآثار التي غزت جسدكِ منذ أن وطئتِ قدماكِ ذلك الضريح.. أليست ما تزال ظاهرة حتى الآن؟

سكتت لترى أثر كلامها في وجهي، ثم قالت بنبرة خافتة: – أنصحك يا ابنتي، اذهبي الآن.. ولا تعودي.

كانت على حق. لطالما حذرني الجميع من زيارة المقابر، فقلت لها بألم: – لكني أحب هذا المكان. أشعر براحة وأنا أتحدث مع جدتي. ليس لدي أحد آخر أسبر له أغوار قلبي، ولا أجد من يحتمل هذا الحزن الدفين.. إلا هي. لا أستطيع.. لكنني أعدك، سأزور في الوقت الذي يأتي فيه الناس، ولن أعود في مثل هذا الوقت.

وما إن أنهيت كلماتي – وأنا بطبعي لا أنظر في وجه من أتحدث إليه، كأنني أناجي نفسي – حتى التفتُّ نحوها.. فلم أجد أحدًا.

لم يشغلني اختفاؤها كثيرًا، فقد كان عقلي مشغولًا بذلك الضريح. كيف عرفت تلك المرأة كوابيسي؟ كيف عرفت آثار الحروق والكدمات التي ظهرت على جسدي دون سبب؟ بدا واضحًا أنها من أولئك الفضوليين، الذين لا يحبون أن يخفى عنهم شيء، حتى لو لم يكن يعنيهم.

ذهبت إلى شيخ المسجد وسألته عن الضريح، فقال: – لا تذهبي هناك، بل لا تقتربي من تلك البقعة من الأرض، مهما كان السبب.

علمت أنه لن يُروي ظمأ فضولي. وأنا أعلم أن الفضول يقتل المرء، سواء عرف أو جهل، كما في "قصة مدينة القطط". لذا، بدأت أنبش في الأمر بحذر. اخترعت قصصًا كي أتمكن من سؤال الناس دون أن يثيروا الشكوك. وبعد جهد، توصلت لبعض المعلومات.

تقول الأسطورة إن الضريح يعود لامرأة كانت تُغسّل الموتى، ثم حين كبرت، تحوّلت إلى دجالة. عاشت ما يقارب المئة والعشرين عامًا. وحين ماتت، أقام لها أهل القرية ضريحًا ضخمًا. وقالوا إن ترابه مبارك، له رائحة نفاذة. كان الأطفال يذهبون ليجمعوا التراب ويحتفظوا به.. لكنهم، ما إن يمضي أسبوع، حتى يُعثر عليهم موتى.. بلا سبب.

وها أنا أكتب هذه القصة بعدما عرفت الحقيقة. فإن كانت الأسطورة صادقة، فسيكون صباح اليوم.. آخر صباح لي.

وتكون هذه المذكرات آخر ما يُروى عني، ودليلًا على أن الأسطورة.. كانت حقيقة.

* * * *

٤

(طفلة الحب)

– من تلك الطفلة الجميلة التي تشبهك، والتي تضع صورتها على الواتساب يا علي؟

قالت نجلاء وهي ترفع حاجبيها بدهشة، ونظرتها تتأمل وجهه بفضول.

– هذه قصة.. يطول شرحها يا نجلاء.

ردّ وهو يشيح بعينيه عن الهاتف، ويميل بجسده على الكرسي كأن شيئًا ثقيلاً جلس فوق صدره.

– لدي فضول قاتل لأعرف.

قالتها وهي تبتسم، لكن نبرتها حملت مسحة حذرة، كمن يخشى أن يفتح بابًا مواربًا.

– حسنًا..

تنهد، وغاص في كرسيه أكثر.

– كنت أحب بنت الجيران، حينما كنت أسكن في الإسماعيلية. وكانت تحبني كذلك..
– وبعد؟

سألَت وهي تُقلب بين أصابعها قلماً على الطاولة.

– تقدّمتُ لخطبتها، ووافق والدها. تمت الخطبة، وكانت فرحتنا لا يسعها الكون. كنتُ من أسعد الرجال على وجه الأرض...

قال ذلك وهو يبتسم ابتسامة باهتة، كأنّه يحاول انتزاع الذكرى من خلف الغصة.

– الخطبة كانت قبل شهرين من خدمتي العسكرية، فذهبتُ إلى التجنيد، وأنا أعد الأيام والساعات لأعود إلى خطيبتي، حبيبتي التي اشتقتُ إليها كثيرًا.

صمت. لم تقاطعه نجلاء. كانت تتابعه بعينيها بصمت، كأنها تمشي في ممر ضيق لا تريد إزعاج سكونه.

– وحينما انتهت الشهور الثلاثة الأولى من الانقطاع التام عن أسرتي وحبيبتي، عدتُ..

أطرق برأسه قليلًا، ثم تابع:

– ذهبتُ أولًا لوالدتي لأستريح، ومن ثم إلى محبوبتي الغالية..
– ألم تكن تعلم بموعد إجازتك؟

سألتها بتعجب.

– لا، لا أحد يعلم متى تنتهي فترة التدريب. في تلك الأيام نكون في معزل تام عن العالم.

أكمل، وقد بدأت نبرته تميل إلى الجفاف:

– وفي الحقيقة، حينما ذهبتُ إلى بيتها، وجدتُ والدها عند الباب. قال لي: "لقد تزوجتْ من رجل كان مستعدًا للزواج، لم يكلّفنا سوى حقيبة ملابسها.. أنت أمامك طريق طويل، وابنتي لن تنتظر حتى تُصبح عانسًا".

سكت. نظرت نجلاء نحوه باستغراب مشوب بالانكسار.

– ولِمَ وافق من البداية على هذه الخطبة؟

قالتها بصوت خافت، وكأنها تسأل عن شيء خفي خلف الكلمات.

– وافق فقط ليضمن وجود "خطيب" لابنته.

هزّ رأسه بمرارة.

– أصبحتُ دون حبيبة. لملمتُ أحزاني، وأكملتُ فترة التجنيد بقلب مكسور، غاضب، محطم.

نظر إلى السقف للحظات، ثم أردف:

– أنهيتُ الخدمة، ومرت سنة. حاولتُ أن أملأ وقتي بأي شيء، فقط لأُبعد فكرة الانتقام عن عقلي.

تنهّد مطولًا، ثم قال بنبرة خافتة:

– ثم جاء اليوم الذي رأيتها فيه عند بيت أهلها. كانت تحمل طفلة صغيرة على ذراعها.

توقف قليلًا، ثم أضاف وهو ينظر إلى نجلاء نظرة مباشرة لأول مرة:

– الطفلة كانت تشبهني.. تشبهني لدرجة لا تخفى على أحد.

شعرت نجلاء بشيء يعتصر قلبها، قالت بعد لحظة:

– قبل أن تسيء فهمي.. أنا لا أُصدر أحكامًا.

ثم تابعت بابتسامة دافئة:

– جدتي كانت تقول دائمًا: "إذا شَبِه الولد أباه، فالزوجة تُحب زوجها أكثر، وإن شَبِهها فالزوج يحبها أكثر".

أطرقت برأسها وقالت:

- وأنا أؤمن بالأرواح، علي. أعتقد أن حبيبتك أحبتك حبًا عظيمًا.. وأتمنى أن يجمعكما القدر مرة أخرى، في زمنٍ أعدل.

ابتسم ابتسامة شاحبة، ثم قال:

- لا يعني أنني أحبها، أنني أتمنى لها أن تهدم بيتها.

سكت لحظة كأنه يبحث عن الكلمات الصحيحة، ثم أردف:

- أحبها، نعم، لكن أتمنى لها السعادة.. أياً كان مكانها.
- تركتُ بلدتي، وسكنتُ في الإسكندرية فقط.. كي لا أراها، ولا أفعل شيئًا أندم عليه لاحقًا.

ساد الصمت بينهما. كانت نجلاء تنظر إلى يديها المتشابكتين على الطاولة. ثم رفعت رأسها وسألت بنبرة مرتبكة:

- هل لي أن أسألك سؤالاً؟
- بالطبع.
- أعلم أنه لا يحق لي.. نحن مجرد زملاء، وصداقتنا قصيرة.. لكن قصتك أثّرت فيّ كثيرًا..
- لا تقولي ذلك، نجلاء.

قالها بابتسامة حنونة، عادت بها بعض الحياة إلى وجهه.

- لو لم تكوني صديقة عزيزة، لما رويتُ لكِ هذه القصة. كان بإمكاني أن أقول إنها ابنة أخي.. وانتهى الأمر. والآن، تفضلي، اسألي.
- كيف حصلتَ على صورة الطفلة؟ وما اسمها؟

قالت بصوت يكاد يتهدّج.

- اسمها "رهف"، وجئتُ بالصورة من صفحة الفيسبوك الخاصة بوالدها.

أغمضت نجلاء عينيها لحظة، ثم قالت بهدوء:

- لا أعلم ماذا أقول.. أنا آسفة. لم أقصد أن أفتح جرحك، ولا أن أقلب عليك المواجع.
- لا تعتذري.

هزّ رأسه مبتسمًا بتعب.

- أنا لم أنسَ حتى تذكريني بها. هذه الذكريات تدور داخلي كفيلم سخيف يُعاد كلما انتهى.

ثم نظر بعيدًا، كأنّه يرى الطفلة تمشي في شارع بعيد، وأضاف:

- لا تقلقي.. أنا بخير.

* * * *

٥

(العصفورة)

لأول مرة، تبكي الفتاة على طائر.

رغم أنها شاهدت من قبل مشاهد مؤثرة لحيوانات وطيور شتّى، لم يترك شيء منها هذا الأثر العميق في قلبها.

لكن هذه العصفورة..

تركت شيئًا لا يُمحى.

تذكّرت أول يوم رأتها فيه.

كان يومًا ربيعيًا، العصافير تملأ السماء بهجة، والنسيم يراقص أوراق الأشجار في مزرعة ريفية خلابة.

لم تكن الفتاة تهتم بالطيور أو الحيوانات، تتعامل معها بلا مبالاة.

لكنها لم تكن قاسية، إن رأت قطة جائعة أطعمتها، وإن رأت كلبًا ظمآن سقته.

لا أكثر.

وذات يوم، لاحظت عصفورة تعبث عند نافذة غرفتها.

خمنت أنها تبحث عن مكان تبني فيه عشها، مثل بقية العصافير التي بدأت تتخذ أماكن لتضع فيها بيضها.

فكّرت الفتاة في طردها، فهي لا تحب الضوضاء، وتقدّس هدوء غرفتها..

كيف لها أن تشارك مكانها مع طائرٍ ثرثار؟!

لكن ما إن رأت مثابرتها وجدّها، حتى وجدت نفسها تُغلق نصف الشيش، وتترك زجاج النافذة مغلقًا من الداخل، كي تتيح للعصفورة بناء بيتها في سلام.

أصبحت تراقبها يوميًا، من خلف الزجاج، تُعجب بتلك الأغصان الصغيرة اليابسة التي نظّمتها العصفورة بمهارة فطرية مدهشة.

رغم أنها لا تفقه شيئًا عن الديكور، إلا أن عشّها بدا متماسكًا، مريحًا.. مأوى حقيقيًا لصغارها المنتظرين.

سألت الفتاة نفسها:

"هل هذا أول عش تبنيه؟

وإن كان كذلك، من أين لها بهذه الثقة؟"

سرحت في شكلها، وهي تحتضن بيضها بنعاسٍ مسالم..

يا له من مشهد!

عندما كانت صغيرة، كانت تتمنى لو تكون عصفورة، كي تطير وترى الأحبّة الساكنين خلف الغيوم.

لكنها الآن رأت ما هو أبعد من الحلم..

ثمة جمالٌ آخر في حياة العصافير.

في موهبتها، في غنائها، في بنائها..

حتى صوتها الذي كانت تعتقده مزعجًا، صار ترنيمة دافئة منسوجة بخيوط هذا الكون.

وذات مساء، مرضت الفتاة.

ألزمتها الحمى فراشها لأيام.

واقتحم أهلها غرفة انعزالها.. فجأة.

في الليلة الأولى من مرضها، سهرت والدتها بجوارها، ولتمنحها الدفء أغلقت النوافذ كلها.

لم تكن تعلم بأمر العصفورة ولا بيضها.

فتحت زجاج النافذة لتغلق الشيش..

فجزعت العصفورة، وجفلت الأم،

وسقط العش.

تحطّم كل شيء.

امتلأت الغرفة بصراخٍ مزدوج:

الأم، والعصفورة.

كلاهما أُم، كلاهما أراد الحماية.. فكانت النتيجة الخراب.

حلّقت العصفورة بجنون في أرجاء الغرفة،

نظرة نحو الفراش المبعثر،

ثم إلى البيض المهشّم على الأرض.

تصرخ.. تنوح.. تنزف بصمتها.

أما الفتاة، فكانت تهذي في حُمّاها.

تداخلت الأصوات في حلمها،

فتحول الحلم إلى كابوس بطعم الواقع.

وفي صباح اليوم التالي، أفاقت وقد هدأت الحمى قليلًا.

نظرت حولها..

الغرفة مظلمة، النوافذ مغلقة، تنهدت، فالاختناق لا يناسبها.

لكن ما هذا؟

أهو صوت العصفورة؟

قامت، متجاهلة الدوخة، وفتحت الشباك..

فكانت الصدمة.

عيدان القش مبعثرة على حافة السرير.

فتحته أكثر، فوجد بعضها فقط..

أين العش؟

أحقًا كان ذاك الكابوس.. حقيقة؟

سمعت أنينًا..

كان صوت العصفورة.

فتحت الشيش، وابتعدت قليلًا، تركت لها المجال لتدخل، لتبحث، لتحزن.

رأتها تدور حول المكان كأنها لا تصدق.

تنظر.. تُقلّب..

ثم تصدر صوتًا خافتًا، باكيًا.

أين صغاري؟

ألم أكن هنا أمس أحتضنهم؟

أين ذهبوا؟ كيف؟ ولماذا؟!

بكت الفتاة كما لم تبكِ من قبل.

طوال الأيام التالية، ظلت العصفورة تعود كل ليلة، تنام في المكان نفسه،

تبكي فيه كما لو أنه لا يزال يحوي ما كان.

والفتاة تراقبها..

تتألم لأنينها، تبكي معها،

وكأن هذا الفقد يخصّها هي أيضًا.

سألت نفسها:

كيف يتحول نهارٌ ربيعي إلى ليلٍ عاصف بهذه السرعة؟

أهو الفقد؟

أهو الحداد؟

أم أن الحياة كلها كالعش.. تبنيه في هدوء، وتهدمه لحظة غفلة؟

مضت أيام، ثم خفّت زيارات العصفورة.

قلقت الفتاة..

أتكون قد ماتت من الحزن؟

"إن كنت أنا التي لم تختبر الأمومة قد بكيت لهذا الفقد،

فكيف بها؟!"

قالت ذلك في سرّها.

لكن في صباح مشمس، رأتها من النافذة..

تجمع أعواد قش من جديد.

وتبني..

على جذع شجرة برتقال تطل على غرفتها.

ذهلت، ثم ابتسمت.

قالت لنفسها:

"ربما لا أكون عصفورة...

لكن في استطاعتي أن أكون مثلها.

أسقط.. أبكي..

ثم أنهض..

وأبني كل شيء من جديد."

* * * *

٦

(رخصة قارئ)

في يوم عطلة مشمس وسماءٍ صافية، قرر صديقنا القارئ أن يخوض جولةً جديدة في بحر العلم، علّه يصطاد فكرةً تسد رمق جوعه المعرفي من هذا البحر اللذيذ.

أعدّ عدته، جهّز كتبه، أقلامه، ونوتةً صغيرة يُدوّن فيها ما عساه أن يحتاجه، ثم توكّل على الله وبدأ رحلته.

كان البحر هادئًا في البداية، لكن مع كل صفحةٍ قرأها، كل فكرةٍ تعمّق فيها، كان يبتعد شيئًا فشيئًا عن شاطئ مدينته، حتى لم يعد يرى سوى الماء من كل الجهات.

لم يفكر في العودة، فقد كانت لذّة المعرفة وهواء البحر المنعش يغرسان فيه رغبة بالبقاء.

وفجأة، جفل جسده على صوتٍ يناديه من بعيد.

في البداية ظنّها تخيلات، لكن الصوت عاد أوضح وأقوى، كأنه يقف على صفحة الماء نفسها:

- توقّف أيها القارئ!

تلفت القارئ في كل اتجاه، حتى أبصر مجموعة من الحُرّاس يقتربون منه، يرتدون زيًّا مكوَّنًا من حروفٍ عشوائية، ويتسلّحون بأقلام حادّة تشبه الرماح.

تقدم قائد الحُرّاس، حاجباه معقودان ونبرته صارمة:

- يأمرك ملك بحر العلم أن تتوقّف فورًا، لقد تجاوزتَ الحد المسموح به لمن لا يحمل رخصة الإبحار.

ارتبك القارئ، نظر حوله وكأنّ المكان ضاق فجأة، وقال بنبرة مرتبكة:

- أهناك.. رخصة للإبحار؟
- بالتأكيد.

رد القائد بنبرة خالية من التعاطف.

- والآن، يجب القبض عليك لمخالفتك القوانين.
- ولكنني.. لم أكن أعلم! لم أسمع أبدًا عن هذه الرخصة، ولا قانون الإبحار في بحر العلم.

اقترب القائد منه، وحدّق في عينيه بنظرة مشتعلة:

- الجهل بالقانون لا يُعفيك من العقوبة. القانون لا يرحم المغفلين. كان عليك أن تتعلم أولًا قبل أن تتجرف بهذا الحماس. أنت مُعتقل أيها القارئ. لك أن تدلي بحججك في محاكمتك القادمة.

ثم أشار للحراس، الذين انقضّوا عليه دون أن يتركوا له فرصة للكلام.

عصبوا عينيه، وقيّدوا يديه.

لم يعلم كم مرّ من الوقت، كل ما شعر به هو البرد، الصوت الخافت للأمواج، وأصوات خطواتٍ متباعدة تُصاحبه في طريقه نحو المجهول.

حين أزالوا العصبة، استغرق بصره لحظات ليتأقلم. نظر حوله فإذا به داخل برج شاهق من الموسوعات العتيقة، تضربه رائحة الورق القديم، وتغلفه هيبة مهيبة.

قاده الحراس إلى ممر ضيق، ينتهي بغرفة فيها نافذة صغيرة تُطل على البحر العظيم، وسرير صغير مصنوع من الورق المقوّى.

استلقى عليه القارئ، وما لبث أن غلبه النوم من شدة الإرهاق.

في الصباح، أيقظه صوت أحد الحراس وهو يهزه بخفة:

- هيا، ستبدأ محاكمتك بعد قليل.

سار القارئ خلفه، يصعد درجاتٍ لا تنتهي، حتى وصلا إلى سطح البرج.

توقّف لبرهة، مدهوشًا مما رأى.

المكان لا يشبه محكمةً على الإطلاق.

مجلس بسيط: شيخ وقور تغزو بياض لحيته ملامحه، يجلس على وسادة من ريش. بجانبه قائد الحراس، وفي الجهة الأخرى شاب يحمل أوراقًا صغيرة، يبدو أنه كاتب المحكمة.

شعر القارئ بالارتباك. كان يتوقع ملكًا جبارًا، قضاةً صارمين، حشودًا من الناس.

لكن المشهد كان.. أشبه بجلسة سمر ليلية.

قطع القاضي حبل شروده بنبرة رصينة هادئة:

- السلام عليك، أيها القارئ.

ردّ القارئ، ووقف باحترام:

- وعليك السلام، أيها القاضي الجليل.

- لقد قُبض عليك بتهمة "الإبحار دون رخصة". هل لديك ما تقوله؟
- لم أكن أعلم يا سيدي القاضي أن للإبحار قوانين.. ولا أنني أحتاج رخصة.

ابتسم الشيخ بحنوّ، وقال:

- خلق الله كل شيءٍ بقانون. لو فُقِدت القوانين لهلك الكون.

هل تساءلت يومًا: لماذا يُشبَّه العلم بالبحر؟ رغم أن الكون يتكون من ترابٍ ونارٍ وهواء وماء؟

- أظن لأن الماء أعمقهم وأوسعهم، وسلاح ذو حدّين، يُحيي ويُهلك بإذن الله.
- أحسنت.

هزّ القاضي رأسه موافقًا.

- البحر يشبه العلم في عمقه وامتداده.. فلا يجوز الخوض فيه بلا عدّة. ولذلك هناك رخصة، تحميك من الغرق.
- وكيف أحصل عليها يا سيدي؟
- أحقًا تريدها؟
- بكل جوارحي.. لقد وقعت في عشق هذا البحر.

ضحك القاضي ملء شدقيه:

- لا أحد ارتوى من بحر العلم قط، يا بُني. العلم كالعشق.. لا يُحد، ولا يُشبع.

أيها القائد، فكوا أغلاله.

أشار القائد للحراس، فتقدموا بسرعة وفكوا قيوده.

تنفّس القارئ بحرية لأول مرة، وكأن صدره امتلأ بالحياة.

- اجلس، يا بني.

قال القاضي بلين، مشيرًا إلى وسادة قريبة.

جلس القارئ بتواضع، يتأمل وجه الشيخ الذي صار أكثر ألفةً الآن.

تنهّد القاضي وقال:

- لقد كرّم الله الإنسان بالعقل، وكرّم العلماء وطلاب العلم. أتدري لماذا؟
- لأن تنمية العقل ليست أمرًا يسيرًا، وطلب العلم يحتاج زهدًا ومشقة؟
- صحيح.. لكن السبب الأعمق، أنهم يعملون لأجل الناس، لا لأنفسهم فقط.

العالم الحقيقي هو من يُنتج علمًا يُغير به العالم، لا من يقرأ في صمت وينعزل.

ثم مال للأمام وأكمل بنبرة حازمة:

- رخصتك أيها القارئ، ليست ورقة.

بل عهد. عهد أن تقرأ قليلًا.. وتُطبّق كثيرًا.

أن تجعل علمك نافعًا، لا عقيمًا. أن لا تنسى أن:

"العلم الذي لا يستفيد منه أحد.. هو جهل مُقنّع."

ثم أشار إلى البحر البعيد:

- هناك، في الجهة الأخرى، يوجد "بحر الجهل".. كثيرون ظنوه بحر علم، لكنه غلاف مُخادع، لا يُنتج إلا الوهم.

مهمتك الأولى: أن تُشارك علمك مع الناس، وتُعلّمهم، وتأتي لتأخذ ما ينقصك من البحر الحقيقي.

ومهمتك الثانية: أن تذهب إلى بحر الجهل، كل يوم، تقترب من أهله، وتتعلم كيف تُقنعهم بالخروج منه.

هذه رخصتك.. فهل تقبل؟

- الآن فقط عرفت قيمة الرخصة يا سيدي.

قالها القارئ بانفعال، وقلبه يفيض بالعزم.

- أمعك أوراق؟
- نعم!
- إذن، دوّن: "أنا حامل رخصة الإبحار، أقرأ لأُفيد، وأُفيد لأُغير. وأُجدد الرخصة كل عام، بتقارير تُثبت أني لم أقرأ عبثًا، ولم أبحر لأنسى اليابسة."

ابتسم القارئ والدمع يلمع في عينيه:

- منذ اليوم، أنا خادم للأرض، أعمرها أنا وذريتي.
- بارك الله فيك، وثبّت خُطاك.

ثم قال القارئ وهو يهمّ بالانصراف:

- أيمكنني أن أسأل سؤالًا؟
- بالطبع.
- أين ملك البحر؟ وأين المملكة؟ لم أرَ مملكةً ولا شعبًا، رغم كل هذا الجلال؟

ابتسم القاضي وقال:

- ملك البحر والبرج والكون كله.. هو الله.

أما نحن.. فنحن مجرد أدوات. أنا شيخٌ هرم، أنشأت هذا البرج، وجمعت تلاميذي، لنُكمل المسيرة.

رأيتك يومًا تائهًا، فكان لزامًا علينا أن نرشدك.. لا أن نُعاقبك.

اقترب القارئ من الشيخ، وقبّل يده باحترام، ثم وعده أن يعمل برخصته، ويبدأ من فوره.

وغادر مع الحراس..

ولأول مرة، يرجع القارئ من بحر العلم دون أن يكون محمّلًا بالأسئلة.

* * * *

٧

(أنقاض حُبّ)

حينما رأيته من بعيد، ارتجفت يدي بشدة وتسارعت دقات قلبي. تساءلت ماذا حدث لي؛ أعلم أنني اشتقت إليه كثيرًا، ولكن هذا الشعور له معنى واحد فقط: أنني لم ولن أعشق غيره.

كان هو من طلب هذا اللقاء، ولم أتردد في الذهاب إليه، ولكن بعد كل تلك السنوات، لم أكن أتوقع عودته. رغم اشتياقي الشديد إليه، لم أكن أظن أن آخر كانون سيكون بهذا الدفء إلا بعدما رأيت ضحكته التي تشبه طفلًا، والتي تصنع تموجات جذابة على وجهه. أيقنت في تلك اللحظة أنني لن أمل النظر إليه أبدًا، فقد عشقت تفاصيله كلها.

فجأة، تحولت من فتاة ناضجة إلى طفلة جميلة بوجنتين تنضجان حبًا. عاد إليَّ بريق عيوني ورجفة يدي والتخبط الطائش. عادت إليَّ نفسي بمجرد النظر إليه من بعيد. كنت أتساءل في رحيله، لماذا لم أعد أحب أو أكره؟ وذلك لأنه علم قلبي بعد رحيله ألا يفتح لأحد سواه.

وهنا أيقنت بعد سنوات الغياب الطويلة أن نفسي التي بحثت عنها كثيرًا موجودة معه، وأن الحب الذي اختفى فجأة من حياتي تجلى في ابتسامته. لحظات انتظاري ولهفتي للقائه، سماع صوته، لمسة يده الحنونة، حضنه المعبق برائحة الحب الصادق، قبله شتت كياني وأعادتني لاضطراب مراهقتي. أيعقل ألا يكون هذا حبًا؟

مشاعري الآن متضاربة بين الحب والكره، الاشتياق والغضب. كنت مرتبة ورزينة، أصبحت مبعثرة. لكل قطعة مني مشاعر مختلفة عن الأخرى. لماذا حدث هذا الآن؟ كم هو خبيث يختبر قوة تحملي وصمودي أمام قلبي، يضعفني في مواجهة نفسي، ويعلم أن النهاية لصالحه حتمًا.

لو أنه واجهني لخسر المواجهة، فأنا أحترف فنون الكذب والخداع أمام الآخرين، ولكن لا أقدر عليها أمام نفسي. كيف أتغاضى عن كل هذا؟ بداخلي غضب نتيجة ما أحدثه من خراب. بعد سنوات من العزلة والترميم، جاء في لحظة واحدة وهدم حصوني. ما زالت الطرق أمامنا موصدة، وإن كنت هزمت أمام ذاتي، فلن أهزم أمامه أبدًا.

سأكون تلك الفتاة القوية التي لا تستسلم أبدًا. أعلم أن القرار قاسٍ، وأنني عدت لنقطة الصفر من جديد، ولكنني سأعود أدراجي وألملم شتات قلبي وشظايا روحي المبعثرة هنا وهناك، وسأذهب من هنا سريعًا، رغم اشتياقي الكبير له والذي لا أقدر على كبحه. ماذا لو رآني الآن؟ ما الذي فعلته بي؟ لقد دمرتني.

* * * *

٨

(بين الحب والاختيار)

كانت فتاةً تحيا في ظلّ حبّ هادئ، نقيّ، خالٍ من الشوائب.

شابٌ أحبّته كما كانت تحلم دومًا، ووجدت فيه كل ما تمنّت. بينهما تفاهم فريد، لم تفسده غيرة، ولم تعكّره شكوك.

مرت سنة كاملة على علاقتهما، تسير بهدوء كقطرات المطر حين تهمس على الزجاج، جميلة، خفيفة، لا يلحظها أحد.

لم يعرف أحد بقصتهما. كان حبًّا يشبه الدعاء المكتوم، لا يسمعه سوى الله. وربما كان هذا سرّ ديمومته، إذ لم يُسرف أحدهم في الإعلان، ولم يُثقل الحبّ بتوقعات الناس.

كان حبًّا بلا شروط ولا محاولات تغيير. قبولا تامًا دون مساومة، ورفقة صافية، يُساندان فيها بعضهما، ويتقاسمان النجاح كأنه قطعة خبز. خلافاتهما لم تكن معاول للهدم، بل كانت سلّمًا للتطوّر. وكلّما اشتدّت العاصفة، زاد الجذع رسوخًا.

لكنّ الحب وحده لا يكفي.

لم يتّفقا على المستقبل.

كانت عروض الزواج تنهال عليها، وفي كل مرة كانت تبتكر أسبابًا جديدة للرفض، دون أن تُفصح عن حبها. لم تُرِد أن يبدو حبيبها كـ"مانع"، فذلك كفيل بتحويل المشاعر إلى عبء.

ثم جاء من يراه أهلها "العريس المناسب".

رفضها له لم يمرّ مرور الكرام، بل أطلق سيلًا من اللوم والضغوط.

فصارحتهم. تحدّثت أخيرًا عن من تحب. هدأت العاصفة قليلًا، لكنها لم تنتهِ.

ازدادت زيارات الخطّاب، واشتدّت ضغوط الأهل، ولكن هذه المرّة كانت الضغوط مغلفة بلينٍ خبيث.

"أهو يتسلّى بكِ؟ لمَ لا يتقدّم؟ لا تربطي نفسك بوهمٍ قد لا يتحقّق!"

"القطار لا ينتظر أحدًا، وإن انتظرتِ أكثر، ستندمين."

لم تجادلهم.

لكنّ كلمة واحدة علِقت في ذهنها كشوكة:

أهو يتسلى بي؟

لم تُخبره. لم تواجهه. كانت تؤمن أن الحب الصادق لا يُنتزع، بل يُمنح طوعًا، دون إثبات أو ضغط.

لكن شيئًا ما انكسر بداخلها.

تغيّر ردّها على كلماته. صارت أكثر صمتًا، وأكثر انسحابًا.

يومًا بعد يوم، بدأت تختفي من يومه دون سبب، وهو؟ لم يتغير. ظلّ كما هو، يرسل لها "صباح الخير"، يشاركها تفاصيله، حتى وهي لا ترد.

تمنّت أن تصارحه، لكنها شعرت أنها خُذلت.

فهل أخطأ؟

لم يُخطئ. لكنها كانت خائفة.

وصلت إلى مفترق.

إما أن تسمع لأهلها، وتكبت قلبها، وتتجنّب وجعًا محتملًا، وإما أن تظلّ مع من تحب، وتعيش بلا ضمانات.

فكّرت..!

هل الحياة الزوجية هدفها الحب؟

كم من اثنين تزوّجا عن حب، ثم احترق الحب في زحام المسؤوليات وانتهى بالطلاق؟

أغلقت هاتفها يومًا كاملًا، وأمسكت بقلمها وورقتها. قررت أن تحسبها كمعادلة.

الحياة.. اختيار واحد، وسقوطٌ تلقائي في الباقي.

إن اختارت الزواج بمن لا تحب، فستعيش على هوامش روحها. رجلٌ لا يفهمها، يرى اهتماماتها تفاهة، ويُعيد تشكيلها كما يريد.

لكن حبيبها؟

ذلك الهادئ الصبور، الذي لم يفرض نفسه قط، بل انتظرها دومًا.

الذي قال لها حين احتاجها:

"أنهي ما بيدك أولًا، ثم نكمل حديثنا."

لم يقل: "سيبي اللي في إيدك!"

بل احترم وقتها، ومجالها، وخصوصيتها.

شجّعها، قال لها:

"إن كنتِ تحبين ما تفعلين، فتمسّكي به، واسهري لأجله."

ذاك الذي وثق بها رغم البُعد، وأحبّها كما هي، دون أن يحاول تغيير ملامحها الداخلية.

صرخت داخلها:

"لا.. وألف لا!"

لا يمكن أن تخسره.

لا يمكن أن تختار حياةً بلاه، حتى إن كانت أكثر "أمانًا".

ثمّ جاء السؤال المخيف..

وماذا إن كنتِ لا تحبّينه حقًّا؟

ففي أدبيّات الحب، قيس ظلّ يكتب لليلى وهي متزوجة.

وكافكا ظلّ يكتب لميلينا وهي في كنف رجلٍ آخر.

لم ينتظروا مقابلًا، كان الحب غاية في ذاته.

أدركت أن ما تريده ليس ضمانًا ولا خاتمًا في إصبع، بل لحظة حبّ صادقة، تتفوّق على حياة كاملة زائفة.

ستتبع قلبها.

ستعيد الأمور إلى نصابها.

لن تنسى كيف تحوّل عالمها من أول يوم دخل فيه حياتها.

لم تعد تبكي حتى الفجر.

لم تعد تستيقظ من كوابيس مفزعة.

لم تعد تجرح نفسها في نومها كما كانت تفعل.

يكفيها ذلك الإحساس الطاغي بالأمان، حتى وهو بعيد، كانت تشعر بوجوده في قلبها.

* * * *

٩

(مشاعر على استحياء)

كانت أيّامها قاتمة، كأنّ النور قد هجر نوافذ قلبها منذ زمنٍ بعيد.

جرحها الأول لم يكن عابرًا.. بل كان غائرًا، كُتب عليه أن يبقى شاهدًا على كلّ خيبة.

فانكمشت على ذاتها، وبنت حول قلبها أسوارًا من الصمت، وآوت إلى ركنٍ صغير من هذا العالم الكبير.

وجدت ملاذها في الكتب، وراحت تفرّ من واقعٍ لم يعد يُشبهها.

كانت تكتب الشعر وتُسكن الأوراق مكنونات قلبها،

كأنها تُفرغ الوجع حرفًا حرفًا، دون أن يسمعها أحد.

لكن الحياة لا تمنح أحدًا هدنةً طويلة، كان عليها أن تخرج من عزلتها، فقد بدأ عامٌ جامعي جديد.خطت خطواتها الأولى إلى الحرم الجامعي، تثقلها الوحدة، وتُطفئها الذكرى. كانت روحها أشبه بجذوة نارٍ انطفأت في عاصفةٍ مطرية، نادمة على كلّ شجاعة دفعتها لترك قوقعتها، متمنّية لو كان بإمكانها أن تعود إلى عزلتها الآمنة.

أحسّت بالدوار، وضبابٌ كثيف يكسو ملامح هذا العالم.

تشوّشت الأصوات، وتداخلت الصور، ثم.. لا شيء.

استفاقت وهي ممدّدة على أريكةٍ جلدية في مكتبِ أحد الأساتذة. وجوه كثيرة تحيط بها، بعضها قلق، وبعضها مُبتسم لعودتها. لكن ما لفت انتباهها حقًّا، فتاة اقتربت منها بلطف، وناولتها كيسًا صغيرًا فيه بعض البسكويت والعصير، وهمست:

– "سلّمه لي شاب، وأكّد عليّ أن تتناوليه."

شعرت حبيبة بالدهشة.

من يكون هذا الشاب؟

هي لا تعرف أحدًا.. ولم تختلط بأحد طيلة سنواتها الجامعية.

سألت الفتاة:

- "أتعرِفينه؟"
- "لا.. فقط أعطاني الكيس وانصرف بسرعة."
- "هلّا ساعدتني في إيجاده؟"
- "إن رأيته، سأُخبركِ."
- "وشكرًا على لطفكِ.. اسمي حبيبة، وأنتِ؟"
- "رواء، تشرّفت بكِ."

ومن تلك اللحظة، نشأت بينهما صداقة لم تكن في الحسبان. رواء كانت فتاة مرحة، متفوّقة، اجتماعية ومحبوبة بين الجميع.عرف بية فيما بعد من هو ذلك الشاب.

زميل في الدفعة نفسها، يبدو من أبناء الصعيد، قليل الكلام، مهاب النظرة.

لكنها لم تجد الشجاعة يومًا لتتحدّث إليه، رغم امتنانها الخفيّ لما فعله لأجلها، في صمتٍ ودون انتظار شكر.

وذات صباح، ذهبت حبيبة إلى الجامعة باكرًا على غير عادتها، فوجدته جالسًا أمام باب المدرج.

قال لها بنبرة هادئة:

- "لا تدخلي الآن، عامل النظافة ما زال يُنظّف، والمكان مليء بالغبار."

أومأت برأسها ووقفت في ظلّ بعيد. فما لبث أن دخل، وأحضر لها مقعدًا،

ثم قال:

- "اجلسي هنا.. لا تقفي في الشمس."

جلست، وشكرته، لكنها شعرت باحترامٍ عميق تجاهه. لم يُحاول أن يختلس النظرات، ولم يُدلِ بأيّ تعليقات. كان وقورًا، صامتًا، ومُريحًا.

مرت الأيام، وباتت حبيبة تُفتّش عنه بعينيها في كلّ ركن، ترتّب ساعاتها على مرآه،

فإن غاب.. شعرت أن الحياة قد غابت معه.

لكنّها خافت من هذا الشعور. أيعقل أن تحبّ شخصًا لم تتحدّث إليه قط؟

أهي مشاعر حقيقية أم وهمٌ لطيف؟

قالت لنفسها:

"لا.. لن أسمح لقلبي أن يُسقطني مرة أخرى."

قررت أن تُكمل عامها من المنزل، وألا تحضر إلى الجامعة سوى وقت الامتحانات. ربما لم يكن حبًّا، لكنها كانت مشاعر طيبة.. نقيّة كأنفاس الفجر، خفيفة كنسمة صيف.

تكتفي بتلك الذكرى.

وتُخبئها في ركن دافئ من قلبها، تمامًا كما تُخبّأ الحروف داخل كتابٍ، لا يقرأه أحد.. إلا عندما يُفتّش عن نفسه فيه.

* * * *

١٠

ذكرى

"أصعب ما في الحياة، أن تتعثّر بذكرى نسيتَ فيها روحك.. فلا تستطيع العودة إليها، ولا تملك أن تمضي من دونـها."

مرّت سنواتٌ على الفراق، ظلّ خلالها يتجنب أماكن الذكريات، إلى أن قادته الأقدار، ساخرًا كعادتها، لتقف به وجهًا لوجه أمامها.

أهي حقًا؟

هل تكون هذه هي.. بكل ملامحها؟

لم تكن المفاجأة في وجودها، بل في أنها لم تعد هي.

تغيرت ملامحها قليلًا، أما روحها.. فقد غادرت منذ زمن.

لم تكن تلك الفتاة التي عرفها: مرحة، خفيفة، تملأ الدنيا ضحكًا وتفاصيل.

فجأة، اجتاحته ذكرى ليلةٍ من لياليهما الطويلة على "الواتساب"، حيث لا مسافات تُعيق، ولا كبرياء:

_بت.

_عاوز إيه!

_عارفة.. دايمًا بحس إنكِ قريبة من قلبي، مش عارف ليه خوفي عليكي كبير.. بس إنتِ غالية أوي عليا.

عندي مشاعر فياضة النهاردة، غالبًا البصل اللي قطّعته مأثر عليا.

_اااااااه المصاصة طلعت بالبطيخ مش فراولة.. لحظة حداد لمشاعري، ونرجع لموضوعنا المُهم.

_نفسي أبطل أشتمك بس مش قادر، ده أسلوب حياتي.

_تشتم وأنا في حالة حداد؟!

_هو حداد عز؟

_فين مشاعرك؟ مش عامل اعتبار لروحي الرهيفة؟

_الرهيفة؟! يا شيخة تبًّا للغتك الفُصحى.

ارتسمت على وجهه ابتسامة باهتة، اشتاق إليها بحق. تمنى أن يذهب ويسألها عن حالها، لكن ملامحها الصلبة لم تُشجعه.

تردّد. خشي أن تقابله بنظرة ازدراء، أو أسوأ، بلا أي نظرة.

تخيّل لو وقف أمامها وقال: – أنا اتخرجت.

فترد ضاحكة:

- مبروك! خرجت من عنق الزجاجة، دخلت عنق الشّليموه.
- شعور غريب أوي!
- التخرج؟ ولا العنق؟
- التخرج، مش مستوعب كإني كنت بامتحن تالتة ثانوي امبارح!
- والله؟ مش حاسس إنك محسوب على العشرين كمالة عدد؟

يا أخي بص في المراية. شوف كام شعراية بيضا!

- فرّمتِ الخاطر. خلاص، مش عاوز أعدّهم.

وضحكت.. كما كانت تفعل دائمًا كلما استفزته..

لكنه أفاق سريعًا.

لم يكن ذلك سوى حوار متخيّل، حديث لم يحدث، وابتسامة لم تُمنح له.

هو ما يزال واقفًا، مكانه، خائفًا من خطوةٍ قد تجرحه أكثر، أو تُعيده من حيث هرب.

* * * *

١٢

رسالة لرفيق بؤسي

ما رأيتُ أجمل من "رَوْحٍ" تحبك بتفاصيلك، بعثراتك، بقُبحك وسذاجتك،

تفهمك دون أن تنطق، وتترجم دموعك وهي لا تزال حبيسة المآقي.

ترمم انكساراتك، وتجمع الشظايا المتناثرة فيك،

تحملها كمن يحمل بلّورة مكسورة، حذرًا عليك من مزيدٍ من الألم.

تعطي بلا مقابل، ترفض أعذارك لأنها ببساطة لا تحتاجها؛

تفهمك بلغة لا تحتاج إلى ترجمة.

"رَوْح" تجسدت في صديقٍ أسود، بطعم القهوة،

يحمل اسم "رفيق الحياة" لكنه يجرّك نحو الحافة،

تذهب إليه حافي الأمل، فيُضيف إلى بؤسك لعنة،

يخبرك أن الحظ لا يزور أمثالك، وأن الحياة ضيّقة على من يشبهونكما.

ومع ذلك، لا يتركك.

بل يساندك – بنواياه الطيبة – حتى تفكّر في الانتحار من فرط طاقته الإيجابية.

يؤمن أن الله أرسلك إليه لا حبًّا، بل ابتلاءً،

تكفيرًا لذنوبه التي اكتسبها منذ أن عرّفته بك!

فثمة أصدقاء تُنجبهم الحياة كعلامة،

كما أُرسل "البقُّ" عقابًا لقومٍ كافرين.

* * * *

١٢

(قبل أن تبرد المسافة)

قبّل عصام جبين نادية ببطء، وهمس قرب أذنها:

– وحشتيني.

ردّت بصوت خافت، دون أن تلتفت:

– وإنت كمان يا حبيبي.

كانت نبرتها دافئة، لكنها خالية من الحياة.

– حاسس بذنب، بس غصب عني، سامحيني.

أجابت، وهي تشيح وجهها بحدة:

– من ناحية إيه؟ ناوي تنتحر ولا إيه؟

سكت عصام. برهة ثقيلة كأن الزمن توقف فيها. نظر إلى وجهها، لم يكن غاضبًا بل ساكنًا، وهذا أخطر.

يعرف جيدًا أن هذا الهدوء هو إعلان صامت لعاصفة وشيكة. ذلك هو أسلوب نادية؛ الصمت أولًا، ثم الانفجار.

لم يكن في وجهها دمعة، لكن عينيها كانتا تقولان ما لم يجرؤ قلبه على سماعه.

كان عليه أن يفعل شيئًا أن يدفعها للكلام، لتعود كما كانت.

تأملته طويلًا. ثم قالت، بهدوء مرير:

– مخبّي عليّ حاجة؟
– هخبي إيه يعني!
– سيباك تقول لوحدك.
– من الشغل للبيت، زي ما انتي شايفة.
– معرفش اسأل نفسك.لو بتخوني، عرفني.

لو عندك مشكلة، نحلها سوا.

بس أنا مش خيال مآتة.

صوتها لم يرتفع، لكنه تسلّل إلى داخله كسكين بارد.

عصام ببرود كي لا يفقد أعصابه، فهي تعلم أنه لا يخونها، ولكنها تستفزه ليخبرها:

- بخونك آه بخونك.

شهقت، لكنها تماسكت. وسألت، بجمود:

- بتخوني مع مين؟
- مع واحدة
- ما أنا عارفة إنها واحدة، مش استغفر الله!
- أنا عارف غلطي.
- غلطة إيه؟
- عارف إني بطّلت أقعد معاك وأتكلم زي الأول.. بس اديني فرصة أرتّب أموري، أفكاري
- لأ، إحنا بنتناقش.

فيه فرق بين إنك تبطل تحكي، وبين إني بقيت أكتشف حاجات عنك بالصدفة.

بقيت قلقانة، رغم إنك بتحاول تطمّني طول الوقت، كل يوم أقول لنفسي إن اللي بينا أكبر من شك.

بس أنا مش عايزة أوصل لمرحلة الستات اللي بيدعبسوا في موبايلات جوازهم عشان يعرفوا عنهم حاجة.

أنا واثقة فيك.. بس محتاجة أسمعك، يمكن حملك يخف.

لو كنت بتشاركني اللي جواك، مكنّاش وصلنا للي احنا فيه.

- فيه إيه لكل ده؟! فتور إيه؟
- آه، فتور.. لما كل واحد يعالج مشكلته لوحده، من غير ما يفتح للّي جنبه،

إحنا مش شركاء في الإيجار، إحنا اتجوزنا عشان نشيل سوا.

أنا مش بلومك، بس عايزة أشوفك جوايا مش بعيد.

تنهد عصام، شعر بثقل في صدره لم يدركه من قبل.

- حاضر.. هقوم آخد دش، أصفي دماغي، وعبال ما قمرايتي تحضّر العشا، أكون جاهز أحكيلك كل حاجة.

اتفقنا؟

ابتسمت نادية ابتسامة صغيرة، لكنها حقيقية:

- اتفقنا.

* * * *

١٣

(حلم على صفحة الماء)

لا أستطيع أن أتحرك، وكأن قدميّ شُلّت!

- لقد وصلتَ إلى القمة، وسَيبدأ الكون في الانهيار، يجب أن تنزل بسرعة!
- هناك قوة خفية تدفعني إلى الأمام. ألا ترى؟

كلما تقدّمتُ درجة، تولد درجة جديدة من العدم تحت قدمي.

إن توقّفتُ، سننهار أنا وأنت، ونغرق في العدم.

هيا، تقدّم! ربما ينمو السلم لدرجة لا أراك بعدها.

اصعد، ولا تخف.

"تن تن تن.."

رنّ منبّه السابعة صباحًا.

فتحتُ عينيّ، لاهثًا، أدركتُ أنني كنت في حلم عجيب!

كيف كانت الشمس تتنكّر في ثوب هلال؟

والأعجب.. كيف اجتمعت الشمس والقمر في سماءٍ واحدة!

وكيف كنّا، أنا و"فضل"، واقفَين بثبات فوق سطح الماء؟

كيف استقرّ سلمٌ طويل على صفحةٍ لا تثبت؟

وما الذي دفعني، أنا المتهوّر عادة، لأصعد دون خوف؟

كان الحلم يقطر رموزًا، يوحي بشيء كبير.

بالخير، بالطموح، بالتحدي الذي لا يقبل التراجع.

ترى.. أكان ذلك من حديث نفسي؟

اليوم ليس عاديًا، إنه يوم الصفقة الكبيرة في شركتنا.

إن نجحت، ستنقلنا قفزة واحدة إلى قلب سوق التجارة الدولية.

قطع شرودي رنين الهاتف كان "فضل".

- أنا خرجت، مستنيك تحت.

تفاءلت..

قالوا قديمًا:

إنما الأحلام على أول تفسير، وأنا أفسّرها بخير الله الواسع.

* * * *

١٤

(حب لا يصلح الخسارة)

جلسا في المقهى ذاته الذي اعتادا ارتياده.

رائحة القهوة ما زالت تعبق في الجو، كأنها تحاول جمع شتات ما تبقّى.

الكرسي المقابل لها فارغ، حتى جلس هو.

صوت خطواته لم يكن ككل مرة مترددًا، مثقلًا.

نظرت إلى عينيه، لم تجد فيهما ذلك البريق القديم، فقط ضباب.

بدأت كلامها وهي تنظر إلى فنجانها دون أن تمسه، تُحرّكه بأطراف أصابعها كما لو كانت تحرّك شيئًا بداخلها:

- فاكر آخر مرة شربنا فيها قهوة مع بعض كانت إمتى؟ من زمان، صح؟
- صح.
- مكنش نفسي نوصل للحال ده.

عارفة إني نكدية، بتخنق بسرعة، وقلتلك من الأول إنك هتزهق، هتملّ.. بس كنت بتضحك وتقول "أنا مش زي الناس دي".

ياريتك سبتني وقتها.. كان أسهل.

قال بصوت خفيض، كأن الحروف خرجت من صدره لا من فمه:

- أنا مزهقتش منك ولا عمري هزهق.

رفعت نظرها إليه للمرة الأولى.. وجدت في وجهه وجعًا مألوفًا، لكنها لم تعد تُجيده.

- إنت مشيت في طريق وحش.

وإنت عارف إنه وحش، وجربته قبل كده.

رجعتله تاني؟ برجلك؟

ليه؟!

صوته خرج مكسورًا:

- مش برجلي.. والله ما بكامل إرادتي.

ضحكت ضحكة قصيرة، لكن نبرتها كانت أقرب للبكاء:

– إيه؟ حد ماسك عليك فيديوهات؟ ما إنت اللي قلتلي إنك ناوي ترجع، عشان تحافظ عليا؟

ومن وقتها كل حاجة فيك اتغيرت.

نظرتك، صوتك، حتى ضحكتك!

– حاولي تفهميني!

قاطعته، وهي تميل بجذعها للأمام، عيناها تتوسلان إجابة:

– أفهم إيه؟ إنك بتحبني؟!

هو اللي بيحب يعمل كده؟

– المفروض يعمل أكتر، وأنا بعمل اللي أقدر عليه.

هزّت رأسها بيأس، ثم غطّت وجهها بكفّها كأنها تمسح عن عينيها شيئًا لا يُرى:

– اللي تقدر عليه؟!

هو تضيع نفسك ده اللي تقدر عليه؟

هتدخل طريق كله ظلمة وقرف، وتقول لي بتحبني؟

طيب لما تحب حد تاني هتنتحر؟!

شهق ضاحكًا بسخرية موجعة:

– لأ مش هضيع نفسي.

نظرت إليه مطوّلًا، كانت تقرأ في ملامحه عجزًا لم تعهده فيه:

– أمال إيه اللي بتعمله ده؟

إيه؟ بتاخد كورسات "التدمير الذاتي" في السر؟

فيه مناهج جديدة للانهيار مش متابعة بيها أنا؟

سكتا. لف الصمت المقهى كأنه بطانية من صقيع.

وضعت كفّها على الطاولة، تأهبت للقيام، وقالت وهي تنهض ببطء:

– شوف، اعمل اللي شايفه صح.

بس خرجني من حساباتك، عشان أنا مش لعبة في نص الطريق.

مدّ يده نحو يدها فجأة، قبض عليها برفق، بعينين ممتلئتين بالرجاء:

– لو أنا شايف كل حاجة صح هاخد رأيك ليه؟

أنا مش شايف، أنا تايه.

– تايه؟ تايه وبتمشي بإيدك في النار؟

تايه وجايلي بعد ما دخلت؟

بتقوللي: "هو أنا جوا النار خرجيني!"

طب ما تخرج يا حبيبي!

ولا إنت مش عايز تخرج؟

مبسوط؟ مرتاح؟

صح؟

– ما قلتش كده أنا عايز أخرج.

صوتها نزل درجتين بارد، موجوع:

– لأ إنت مش عايز.

إنت بتحبني، وبتقضي كل ليلة في حضن واحدة شكل.. وعايزني أصدقك؟

همس بصوت مشوش:

– عارف.

ضربت كفّها بالطاولة بخفة، ليس غضبًا، بل قهرًا:

– لأ، إنت ماتعرفش حاجة!

ولا حتى بتتخيّل.

– وإنتِ؟

إنتِ ما تعرفيش حاجة!

– مش عايزة أعرف!

عارف ليه؟

عشان قلبي مش مستعد يموت دلوقتي!

صوته ارتجف وهو يقول:

- بتتكلمي كده ليه؟

قالت وهي تحدّق في عينيه بعنف:

- حُط نفسك مكاني..

أنا بخاف أحبك، فببعد.

تخيّل؟

أعيش بعيد عنك، وأقضي حياتي زيك، وأقول: "هو دا الصح".

هتتحمّل؟!

ابتلع ريقه بصعوبة، ومال بجسده للأمام، يحاول أن يقرب المسافة:

- حُطي نفسك إنتِ مكاني.. أنا بحبك، وخايف عليكي مني.

ضحكت بمرارة، ثم همست:

- وتروح تضيع نفسك؟ وأنا أقف أتفرج؟

أقولك "براڤو يا حبيبي، كمل!"

طالما بتحبني، كمل في القرف ده، وأنا هشجعك!

- أنا بعالج نفسي
- آه، فعلاً؟ علاجك عبقري!

جرب كمان تمشي على الزجاج، يمكن ده يشفيك!

سكتت لحظة، تنفّست ببطء، ثم قالت:

- إعمل اللي إنت عاوزه، أنا خلصت الكلام.

أمسك يدها من جديد، هذه المرة بقوة أهدأ، بصدق عميق:

- إنتِ غالية عليا أوي.

نظرت له، كل شيء في عينيها كان يقول: "عارفة"، لكن فمها لم يقل شيئًا

سحبت يدها بهدوء..

ورحلت.

* * * *

١٥

(مدينة الذكريات)

ذكريات وضحكات وصوت حانٍ

كأن أحدهم ضبط ذاكرتي على "خاصيّة التكرار".

كل مشهد يُعاد بلا ملل

صوت ضحكته في آخر الليل، ملمس كفّه على رأسي، طريقته في قول اسمي، حتى نبرة "يلا ناكل" التي كان يقولها في منتصف أي همّ

تظهر ومضات من الأمس، بعيدة في الزمن، قريبة في القلب.

بل أقرب من أن تُسمّى ذكرى، إنها تسكنني.

تعيش يا أبي في مدينة الذكريات التي لا تغلق أبوابها بداخلي.

أحيانًا أنظر في المرآة ولا أفهم

كيف كبرتُ هكذا فجأة؟

منذ متى صار صوتي خشنًا؟

منذ متى صار حضنك ذكرى؟

أريد أن أصرخ في وجه الزمن: توقّف! أنا لم أشبع من أبي بعد!

لماذا أخذته؟

كان هناك الكثير لنفعله سويًا

كان هناك "طفولة" لم تكتمل بعد، كنت أتعجّل الكِبَر، واليوم.. أنا كبير بما يكفي لأعترف أنني طفل، طفلٌ يشتاق لركنه الآمن، لكتف أبيه، ليبكي دون خجل، ويضع رأسه على صدرٍ يعرف كيف يحتوي القلق.

أنا اليوم، الكبير الذي يحتاج صديقًا..

صديقًا مثلك يا أبي.

لم ألتفت للدنيا حقًّا، ولم أعبأ بثقلها، حتى رحلت.

بوجودك، كانت الحياة رغم قسوتها، وردية.

بريئة.

خفيفة كأنك كنت ترفعها عني دون أن أدري.

كنت تقول بنظرة فقط: "عدّيها يا ولدي، دي حاجة وتعدي."

واليوم..

أنا وحدي في ميدان لا يُمهل، كقائدٍ قُتل جيشه، لكنه مُجبر على أن يُكمل.

يفكّر كقائد، ويضرب كجندي، يتوجّع في صمت، ويُكابر حتى لا ينهار.

أشعر أنني تُركت في صحراء جرداء..

لا خريطة، لا ماء، ولا ظلّ.

أنا شبح إنسان يا أبي!

كأنني عُلّقت في برزخ لا موت فيه ولا حياة،

كأنّ رحيلك مزّق جسدي عن روحي، وكل ما تبقّى مني، هو حنين لا ينتهي.

* * * *

١٦

(ربيع النصر)

أشرقت الشمس، لكنها لم تكن وحدها من أشرقت.

فحين فتحت سلسبيل باب الدار، بدا النهار وكأنه وُلد من ابتسامتها.

سلسبيل..

تلك الطفلة النابلسية ذات الغمازتين اللتين تُشبهان خندقين من نور، ذات الشعر البندقي الذي يعكس الشمس في تموجاته، تُزيّن رأسها بطوق من خيوط الحرير وسبع خرزات نسجتها لها جدتها بيدين ترتجفان من الحنين.

كل خرزة كانت تُمثّل سنة من الانتظار، وكل غرزة كانت صلاةً على نية الرجوع.

في التاسعة من عمرها، تحمل روحًا عمرها ألف عام.

ضحكتها تُشبه ماء العين حين تضحك من البكاء.

فتحت باب الدار الخشبي..

ذاك الباب الذي نخره الزمن، كان يومًا أزرق بلون البحر..

واليوم، صار لوحة منقوشة بلون الغبار والندى، يمتزج فيه الزمان بالحكايات،

كأن كل يد طرقت عليه..

تركت شيئًا منها.

وراء الباب..

وقف الغائب.

نعم، الغائب الذي طالما تحدّثت عنه الجدة،

بينما عيناها تبحثان عن وجهه في وجوه العابرين.

الغائب الذي قرر أن يعيش حرًّا..

أو يموت شهيدًا.

وقف هناك، والزيتون قد طرح ثماره، والربيع حلّ على البيوت والأرواح، والسماء رفعت أذان النصر بعد طول وجع.

فلسطين صارت دولة عربية مستقلة.

والغائبون عادوا..

عادوا كما يعود الندى لزهور الصباح.

سلسبيل لم تفهم كل شيء، لكن قلبها الصغير ارتجف..

كأنها سمعت نبض الحكاية التي كانت تُروى لها كل ليلة، أمامها بلحم ودم وابتسامة تشبه ابتسامتها.

كان اليوم مشمسًا

لكن الضوء الحقيقي، كان في العيون.

* * * *

١٧

(مسوخ من رحم الطفولة)

وقفتُ هذا الصباح أمام صورة قديمة لطفل..

طفل جميل، بشعرٍ منكوش وعينين تلمعان بدهشة الحياة.

يشبهني

لكن لا يمتّ لي بصلة.

حدّق فيّ الطفل من خلف الزجاج، كأنه يسأل:

- هل كنت أنا؟

هل ضحكت مثلي؟

هل كنت تقفز وتعدو وتُمسك الفراشات من الهواء؟

هل كنت تضحك من قلبك، أم كنت تضحك لأنهم قالوا لك: "اضحك للصورة"؟

توقفت أنفاسي لحظة.

لم أعرف الإجابة.

طالت لحظة الصمت كأنها جدارٌ بين زمنين.

وكل ما استطعت قوله بداخلي:

"لا أعرف."

الأطفال، يا صغيري،

تُنجبهم الأمهات من أرحامٍ نُفخ فيها من روح الله.

ثم، في لحظة ما، تأتي الحياة..

وتطعنهم بخنجرٍ من خيبة، تُشوّه فيهم شيئًا لا يُرى في المرايا، وتتركهم على هيئة بشر،

لكنهم في الحقيقة..

مسوخ روحانية تتنكر في جلد إنسان.

أجل..

هكذا وُلدت أنا، وهكذا متُّ.

طفل كنتَ أنت، وبقايا منك هي أنا.

يا صغيري..

يا أنا الذي لم يعد أنا، لا أذكر ما شعرت به حين التقطوا تلك الصورة، ولا أذكر من التقطها أصلًا.

لا تندهش..

فماذا تنتظر من ابنٍ أنجبته حياةٌ قاسية؟

في فصلٍ مكتوب بحبر الأقدار المؤلمة؟

أنا ظلّ..

ظلّك، لكن بلا ضوء.

* * * *

١٨

(إشراقة الحُبّ)

معك حبيبي تحول الليل الموحش لسمفونية عشق ألفت خصيصاً لنا..

ارتبط مجيئك بالربيع، وكنت ربيعي لكل فصول العام. معك اكتشفت ملذات المطر الربيعي..

معك تأملت الرماد يعود جمراً، وقطرة العطر تغادر زجاجتها الكرستالية لوردتها الأم.. والزهور الذابلة في صالونات الآنية الفضية، تعود براعم لحقولها.. وطيور البوم اللطيفة تتعلم الغريد الشجي كعصافير الحب.

فَحبك يشبه العودة للطفولة، حيث تبدو الفراشة الملونة فوق الوردة لغزاً ذهبياً، ويعود قوس القزح دروباً معبدة، بالبرتقالي والبنفسج والأزرق والأصفر والأخضر في السماء.. من جديد يصير بوسعنا شراء تذكرة سفر في طائرة ورقية تحلق بنا في سماوات الدهشة.

من جديد يعود العالم جديداً، ونلتهم تفاح البراءة، والعمر لحظة الخلود الصغيرة.

حبك رئة الأوكسجين في كوكب ثمل بربيع حبك..

أخبروني أن الجنة في السماء، ولم يخبروني أن هناك جنة آخرى في عينيك، فهل تسمح لضالة وجدت ملاذها أن تغلق باب جفونك خلفها؟!

فأنا لا أقيم حقاً إلا في عينيك، فهما يرشداني إلى وطني من جديد كلما ضللتٌ طريقي، حينما أسافر داخل ذكرياتنا.

* * * *

20

(عهد الزغاليل)

تسألونني لما هي؟ وما الذي يجعلها مميزة لهذه الدرجة!

سأجيبكم أيها السادة..

ذات يوم كنت أجلس في جزيرتي النائية، أفترش الأرض مع خيباتي في حفلة شاي نحتفل فيها بمرور عام جديد من العزلة والوحدة..

أقبلت كملاك أرسله الله بجناحية واحتوتني، فانتشر في الجو عبق زهور القرنفل.. وأشرقت الشمس من جديد وابتسمت لي السحب البيضاء غامزة.

أزهرت زهور الأقحوان والبابونج، وغنت العصافير ورقصت الفراشات في إحتفال سعيد، ولكنني خفت من جديد، خشيت أن أُترك في منتصف الطرق كعادتي مع كل الأحبة.

ولكنها تمسكت أكتر كلما قسوت، فلتتركني وترحل.

ولم تترك لي سبيل للاختيار، بل أخذتني لأرى العالم بعينيها.

معها تعلمتُ الحلم من جديد. علمتني كيف أَحب وأُحب، كيف أهب الحب والعطاء بلا شروط، بل كيف أجدده ذاتياً كلما خُزلت..

اكتشفت أنني لم أكن غير تائهة في جزيرتي، وأنني كنت أبحث عن ذاتي الآخرى. وآخيراً وجدتها، فنظرت لها بامتنان. وقلت:

طريقنا طويل وصعب يا صاحبي!

ابتسمت قائلة: كفايه إننا مع بعض يا زغلولي.

وها قد مرت ثلاث سنوات على عهدنا هذا.

وإنني أجدده لها أمامكم جميعاً لتكونوا شهداء عليّ:

أترافقينني ليتوقف الزمان؟

* * * *

20

(أنا ملاذك حينما تضيق دُنياك)

لكم أوّد أن أكون كالهواء الذي تتنفسه، ليتخلل جميع خلاياك ويصل لتلك النقطة السوداء التي تثقل كاهلك، فأقتلعها من جذورها، وأزرع مكانها زهرة أقحوان.. كلما نظرت إليها أبهجتك.

لكم أوّد لو كنت جنية شقية، أرى الأفكار السوداء التي تغزوك، فأقطع وصلة الجاذبية التي تستدعيها بها.

لكم أوّد أن أكون غضبًا من الله على ما يؤلمك.

أنا لا أريد لك أن تكون بخير فقط، بل أن تكون مطمئنًا، مرتاح البال، في سلام، مهما كان شكلك، حالك، صوتك أو مزاجك.

أنا متقبلة كل لحظة تمرّ بيها، سواء كنتَ فيها ضاحكًا أو صامتًا أو حتى عابسًا.

أحبك في كل أحوالك، بضعفك وقوتك، بسكوتك وكلامك، أحبك ضاحكًا أو عبوسًا، لتغيراتك وتناقضاتك مكانة في قلبي.

أودّ لو أختبئ في قلبك، أراقبك من هناك.. أرسل لك رسائل طمأنينة كلما خنقتك الدنيا.

أودّ أن أذكّرك دائمًا بأنك لست وحدك، أنا هنا.. دائمًا هنا، ولو صار الليل حالكًا، فقلبي لك قمر لا يغيب.

وحتى وإن عجزت يداي عن انتشالك مما أنت فيه.أنا معك.. لا أرجو تغييرك، بل أحتويك كما أنت، بكل ما فيك. وإن ثقلت الأيام عليك، فأنا صدرك الواسع، وإن ضاقت بك، فأنا اتساعك.

* * * *

٢١

(أحبك بلغة الروايات)

ما رأيك لو أحببتك في عالمي الذي لا يعرف المستحيل؟

فأحتسي من عيونك كل صباح وأهجر قهوة "السيد ليّ".

وتتركت "أندريا" رسائل معجبها السري جانبًا، لتقرأ رسائلك بصوتٍ خافت تحت ضوء الشموع.

وتصعدت بي "موغانا" فوق علية الكروان، لأراك من بعيد، بينما "آمبرا" الوحيدة تراقبنا بصمتٍ من الجسر.

وتأخذني لنشاهد رقصة "لونا" العجرية عند البحيرة، فأدرك أن الفن لا يُولد إلا من الشعور بك.

و"ماريغولد" لم تكن تعرف أن فرحتها الحقيقية لم تكن بالثلج.. بل برؤية ملامحك تنعكس على بياضه.

سافرت مع "توينكل" إلى بلاد أصحاب العيون الجذابة، فوجدتك هناك.. وجدت وطني المفقود.

أخبرت "إدريك" أنني كنت، مثله، أحب المطر.. حتى جئت أنت، واختُصر مفهوم الحب كله فيك.

واعتذرت لـ "ديابلو" عن جهلي بأسرار "اينفيبرنو"، فقد اكتشفت مجرةً جديدة تسكن عينيك.

كنت أبكي مع "سيريا" من ألم العشق، ولم أكن أعلم أنك العشق كله، وما سبقك كان وهمًا متقنًا.

هل أخبرتك يومًا أنني كنت أحلم باكتشاف تكساس مع "كاساندرا"؟ أما الآن، فلا شيء يشغلني سوى ذوباني في نظراتك.

ويا "سولارا" المتغطرسة، لستِ وحدك من يتلقى اسمًا جديدًا كل يوم؛ أنا مدللة حبيبي، يتفنن في مناداتي بأسماء لم تُكتب بعد.

ما رأيك أن نراقب الشفق من "جزيرة الغد والأمس"، فتكون الماضي، وحاضري ومستقبلي، وكل ما سيأتي؟

أصعد بك إلى تلال "الجريندلفالد"، وأهمس للجليد أن عبق عطرك أشهى من برده.

وتُبارك "الداركسان" العظيمة قيامة حبنا، فنلتقي في نهاية الرحلة عند تمثال "العروس الحزينة"، ونقول لها:

"لم تكن النهايات حزينة كما ظننتِ.. لقد أشرقت شمس (قصر الشمس) بعد ليلٍ طويل من الغربة والتيه".

٢٢

مسرحية أنا مش ضدك.. أنا فيك

يجلس إبليس على كرسي فى غرورٍ و كبرياء

يدخل عليه أحد أولاده الصغار و هو يقول صائحًا : يا سيدى .. يا سيدى ، لقد أنجبت ولداً لقد أنجبت ولداً .

اندهش سيده قائلاً: ولد!!!!

عم الصمت المكان ثم تنهد قليلًا وقال:

لن نتركه و شأنه ، لن يسعد بحياته ، سيعيش فى مشقة و تعاسة طوال حياته

ابليس: "خلونا نراجع الخطة السنوية، في مولود جديد ، ولازم تكتيكنا يتطور.

عاوز كل واحد فيكم يحدثني عن آخر مستجدات شغله".

قالها إبليس بصوت رخيم لكنه متهكم أشار إلى أولهم:

"إنت يا أعور خُبرنا."

الأعور، يغمز بعين واحدة ويضحك:

"سهلة يا سيدي.. بقت القلوب خفيفة والعيون متاحة، أنا مش بشتغل كتير، بس التطبيقات بتساعد!

بخليهم يفتكروا إن الرغبة حب، وإن التعري حرية، والزنا؟

وجهة نظر متحضرة!"

ضحك الجميع، وإبليس صفق بخفة.

أشار **ابليس** وقال: "ثبر، الدور عليك".

قال **ثبر** وصوته مليء بغل: "أنا شغال في أعز ما فيهم: الغضب.

بهمس له في ودنه (ما تسكتش!) بخليه يحس إن السكوت ضعف، وإن حقه مش هيرجعه غير الإيد.

يبدأ يتخانق.. وبعدها ينتقم، ويفكر إن كرامته أهم من سلمه".

هز **إبليس** رأسه بإعجاب: "جميل فوضى ناعمة"... ثم نظر لمسطوط: "وأنت؟"

مسطوط، بشفاه مرسومة على كذبة، قال: "أنا بعلمّهم الحكايات، بس من خيالهم. أدي له كلمة، وهو يحوّر باقي الجملة.. يصدق نفسه وهو بيكدب، ويردد الإشاعة كأنها قرآن!"

ضحك **إبليس** ضحكة طويلة: "إنت فنان فعلًا.".. ثم أشار إلى داسم: "قول يا شيخ الضلال".

داسم، بوقار زائف: "أنا ماشي بجلباب الدين، بس كل خياطة فيه فيها بدعة.. بخليه يحس إنه أفهم من العلماء، ويفتكر إن الدين رأيه الشخصي، وأسيبه يعبد هواه باسم ربنا".

هز **إبليس** رأسه بفخر: "ده شغل نظيف".. ثم لمح زلنبور وقال: "جاسوسنا الأمين؟"

زلنبور بصوت ناعم كالثعابين: "أنا ما بستعجلش.. بأقعد جنبهم في القهاوي والمكاتب، أفتح ودنه لحبة حكي، أقنعه إن الفضول فضيلة، وأقلبه ناقل رسمي لأسرار الناس، وأضحك لما يفتكر إن ده 'فضفضة"!

قهقه **إبليس**: "وأنا اللي كنت فاكرك بسيط".. ثم أشار إلى ولها وقال: "يا بطّال؟"

ولها يتثاءب ويقول بتكاسل: "أنا مش بستعجل حد، بأخليه ينام وهو صاحي. أقنعه إن المذاكرة تقيلة، وإن الصلاة لسه فاضل وقت، أديله راحة.. راحة تجيبه آخر القاع وهو مش داري".

إبليس قال بابتسامة ساخرة: "ده النصر الناعم".. أخيرًا، نظر لهفاف: "يا صاحب الملهي؟"

هفاف، بضحكة مرحة: "أنا أديهم الحياة بحفلة.. أخلي الدنيا عندهم سباق محتوى، أبهرهم بالأكل، باللبس، بالشهرة، وأخليهم يفتكروا إن الوجود للمتعة، والقلب؟ مش مهم يسمع.. المهم ينبسط!"

ابتسم **إبليس** وقال: "يا سلام! أنتم عباقرة!" ثم وقف وقال بجديّة مظلمة:

"اسمعوني أجمل معصية؟

اللي هو يعملها لوحده، ويبررها لوحده، ويعيشها كأنها طبيعية.. إحنا نهمس، وهم... بيكملوا القصة".

ابتسم ابتسامة خبيثة، وبدأ يشرح: "اسمعوني كويس..البشر بيتغلبوش بالقوة، لكن بالهمس. إوعوا تزعقوا.. خلي وسوستكم زي النسمة، ما تدخلش من الباب.. خُش من الشك."

رفع أحد **الشياطين** يده وقال بخبث: "يعني نغويهم؟"

ضحك **ابليس** وقال: "لأ، دي طريقة قديمة.. إنت مش مهمتك تغويه... إنت مهمتك تخليه يغِوي نفسه." أكمل:

"عاوز تخلي واحد يسرق؟ ما تقولوش اسرق، قول له: إنت مظلوم.. خليه يصدق إنه يستحق أكتر، وإن اللي مع غيره كان المفروض يبقى ليه".

رفع **شيطان** آخر صوته مستهزئاً: "طب وبتوع الدين؟ دول صعبين**!**"

ابتسم **ابليس** بمكر: "دول أسهل ناس**!** بس أهم حاجة.. خليك وراه في كل طاعة.. حاول تخليه يفتكر إنه أحسن، خليه يتكبر على غيره باسم التقوى. لو قدر يحب نفسه في العبادة أكتر من رب العبادة.. إعرف إنك نجحت".

ضحك الجمع، وصفقّ **أحدهم** وقال: "طب واللي تعبان وعاوز يتوب؟"

ردّ **ابليس** بسخرية قاتمة: "سهّله أوي، قول له: بكرا.. قول له: ربنا غفور، بس مش دلوقتي.. حببّه في الحُلم، وكرّهه في السعي."

ثم سار أمامهم **كقائد**، ورفع إصبعه محذرًا:

"اوعوا تنسوا.. مش دورنا نرسم لهم الشر، دورنا نلون لهم ضعفهم بألوان المنطق. ما تقربش من النور علشان تطفيه، خليهم بس يدوّروا على ظل مريح."

ثم أكمل بنبرة **المنتصر**:

"البشر مش لازم يموتوا خطاة، كفاية إنهم يعيشوا تايهين والتايه.. ما بيوصلش".

وقف ابليس أمام السبورة السوداء، ورسم دوائر تمثل مراحل الإنسان. وأشار إليها بعصاه المدببة وقال:

"اسمعوا دي كويس.. إحنا مش بنشتغل شغل كتير، بس بنشتغل صح. بنوسوس له مرة... واتنين، بالكاد. وبعد كده؟ هو يتولى المهمة".

ضحك بصوت خافت، ثم أكمل:

"المعصية في الأول وجع.. في التانية حذر.. في التالتة عادة. انت بس شجّعه على أول سقطة، وهو هيقنع نفسه بالباقي. وكل ما يرجع لها، مش بيشوفها ذنب، بيشوفها واقع.. طبيعي..عادي".

ثم اقترب من تلميذ صغير وحدق فيه بعين لامعة:

"أجمل نجاح لينا.. لما الصغيرة تبقى موضة، والكبيرة تبقى وجهة نظر".

سأل شيطان منهم باستغراب:

"بس البشر دايمًا بيقولوا إننا ما بنسيبهمش؟"

قهقه ابليس وقال:

"هم مش عارفين إننا أول ما يعتادها إحنا بنمشي... نروح على واحد تاني، لسه قلبه بيقاوم. إحنا نغوي، لكن ما نرغيش.

اللي وقع خلص، بنسيبه يغرق بإيده، وهو يفضل يقول 'الشيطان مش سايبني،' وإحنا نكون بنجهز لذنب اكبر".

سادت لحظة صمت، ثم همس ببطء:

"فاكرين لما كانت الكلمة عيب؟ دلوقتي بتضحكوا عليها في التيك توك.. فاكرين لما كان الحرام وجع؟ دلوقتي بقى 'ترند".'

وأنهى كلمه بجدية شيطانية:

"مهمتنا تبدأ في أول همسة.. بس النهاية؟ دايمًا بتكون بقراره هو."

ثم رجع لكرسيه بنظرة شر جذب انتباهه صوت يأتى من بعيد من:

"ليه دايمًا بلقي نفسي واقع؟ ليه كل ما أقرّب من النور، يجرّني شيطاني للظلمة تاني؟"

قالها **انسان** بضعف، وقهر من نفسه.

اقترب منه **شخص** بهندام أنيق، يبتسم بسخرية وقال:

"أنا؟ لا يا عزيزي.. أنا همست.. إنت سمعت. أنا زينّت.. انت اشتريت. أنا وعدت.. انت صدقّت. أنا وسوست.. انت اخترت".

صرخ **الإنسان** باستنكار:

"يعني أنا اللي شيطان؟!"

فأجابه **الشيطان** ببرود:

"بل انت أكتر.. لأنك بتخدع نفسك بإنك طيب".

ثم أكمل: "مش شايف إنك دايمًا بتدور على حد تلومه؟ مرّة تقول المجتمع، ومرّة الظروف، وفي النهاية.. أنا الشمّاعة اللي بتحط عليها كل أفعالك.

بس عمرك سألت نفسك: أنا ليه موجود أصلًا؟"

ردّ **الإنسان** بصوت ضعيف، كطفل يدافع عن نفسه: "علشان تضلنّا وتعادينا."

ضحك **الشيطان** بسخرية:

"أنا عبد زي باقي الخلق.. موجود علشان أوهمك، وأسول لك نفسك اخليك تنحني لي.. مش غرور، بس مبدأ. أنا ما كرهتش آدم علشان طيب، أنا رفضت أسجد له علشان ساذج. أنا عبد، بس بفكّر. رفضت، فلعِنت... بس ما كذبتش."

رفع **الإنسان** عينيه بتردّد وقال: "بس ربنا قال إنك عدو!"

ردّ عليه **الشيطان** بلهجة متحديّة: "عدو لمين؟ لمن لا يفُكّر.

ربنا قال: 'إني جاعلٌ في الأرض خليفة'، قالها قبل ما يخلق آدم.. مكانك الطبيعي مكنش في الجنة. انت اتخلقت علشان تنزل، تتعلمّ، وتخُتبر.

وأنا.. كنت أول اختبار".

قال **الإنسان** بذهول: "يعني إنت مش عدو ربنا؟"

ابتسم **الشيطان** بغرور: "قولتلك... أنا عبد. لو كنت عدو ربنا، يبقى بنافسه.

وهو اللي خلقني، مش قادر يخسفني؟ أنا مطرود من رحمته.. بس مش خصمه.

أنا خصمك إنت، علشان أنا طُردت بسببك."

اقترب أكثر وهمس في أذنه: "أنا مش بجبرك.. أنا بلمس الجزء المظلم اللي جواك.. وبسيبك تختار. وأجمل ما فيك؟ إنك لما بتكذب، بتكذب على نفسك.

لإنكم دايمًا بتحاولوا تكونوا آلهة." ارتبك الإنسان.

اقترب الشيطان خطوة أخرى وقال:

"بتدعّي المثالية، وبتحلم بالكمال.. بس بتنسى إنك إنسان. بتتمرد على القوانين، مش علشان حريتك، لاء..علشان ما فيش سلطة فوقك. تقُنع نفسك إن مفيش رب، علشان تبقى إنت الرب".

ثم أكمل بصوت خافت كخنجر: "بس تعرف الحقيقة؟ أنا مش عايزك تكون رب، ولا حتى عبد. أنا مش عايزك تكون أصلا.. ولا حتى نقطة".

برد الهواء، وسكنت الدنيا. الصوت أصبح كخنجر يفتح النفس من جوّه:

"أنا مش عدوك علشان أغويك.

أنا عدوك..علشان وجودك نفسه مرفوض. أنا مش عايزك تخطئ، أنا عايزك تختفي".

فجأة، انفجرت كل الأشياء حول الإنسان.

أصوات تصرخ، وجوه من ماضيه، من ضعفه، من كبريائه، من خوفه.. كل "قبيلة" داخله كانت تتصارع. الغضب، الرحمة، الشهوة، الضمير، الخوف.. كأنهم بيتقاتلوا على قيادته.

أما هو؟

فكان واقفاً بينهم، تائهًا.

نظر بنصف عين إلى **الشيطان**، الذي كان يضمّ يديه ويراقب بسخرية: "شايف؟ كلكّ دوشة.. كل الزحمة دي، إنت. فيك قبيلة بتحب، وقبيلة بتكره. فيك قاتل.. وفيك قديّس. فيك طفل بيبكي... وذئب بيضحك. كلهم جواك..

بس مين على الكرسي؟ مين اللي بيحكمك؟ أنا أراهن إنك ما تعرفش".

أكمل **الشيطان** بلهجة قاسية، كجلد: "علشانك غبي.. تايه، ودايمًا بتوافق."

همس **الإنسان**: "أنا القائد".

ضحك **الشيطان** وقال: "مش بقولك ساذج؟

القائد هو الشخصية اللي بصوت لها بصمتك، بنظراتك، باختياراتك.

وكل اللي بعمله إني أرشح مرشحي المفضّل، وإنت.. اللي بتوافق وبتصدر الحكم".

قال **الإنسان** بصوت مهزوم: "يعني أنا السبب؟ كل مرة بمضي بإيدي؟"

نظر له الشيطان وكأنها أعز انتصاراته. ثم تقدم خطوة، وهمس: "مش لأنك شرير.. لاء، بس لأنك ضعيف. ما بتعرفش إنت مين، ولا بتحاول تعرف. عايش في دور البطل.. بس".

اكتسى صوته بجاذبية مغرية، كأنه يبيع فكرة: "عارف؟ المأساة مش إنك مخطئ. المأساة إنك مش هتقدر تختار قائدك الداخلي لوحدك، فدائمًا.. هتحتاجني."

صرخ **الإنسان**: "عاوز أتحرر منك بقى! كفاية!"

ضحك **الشيطان** ضحكة شامتة: "وإيه الجديد؟ حتى توبتك.. محتاجة حد يقودها! فمين فيهم هيمسك الدفةّ المرّة دي؟ الندم؟ ولا الفخر الكذّاب؟ ولا بس لحظة جوف جديدة؟"

انهار **الإنسان** وقال: "يا رب.. أنا مش عايز أكون ساحة حرب".

فجأة، وجد نفسه أمام المرآة. انعكاس وجهه المرهق ينظر إليه، ساكناً. وصوت داخلي عميق يقول: "كنت فاكرني طيب.. ضحية. طلعت مزدحم بكل حاجة وعكسها. وأنا... ربان سفينتي".

لمس زجاج المرآة. وسمع صدى صوت قادم من بعيد: "أنا مجرد فكرة.. وإنت اخترت تصدقني".

ردّ عليه **الإنسان**، بعزم لا يقبل النقاش: "أنا أكتر من فكرة.. أنا معركة، بس مش معاك.. مع نفسي".

سكت لحظة، ثم أكمل بصوت شبه مسموع، لكنه قوي: "يمكن أول خطوة.. أني أعرف إني مش واحد. أنا كون منفصل، مرتبط بخيط رفيع بالعالم الخارجي. ودلوقتي... لازم أقرّر:

مين اللي هيكون أنا، ويمثلني".

"لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضًا، ولأضلنهم، ولأمنينهم، ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام، ولآمرنهم فليغيرن خلق الله"]سورة النساء: ١١٨-١١٩[

اعترف **الشيطان**: "بس خليني اقولكم الحقيقة كاملة، من غير تجميل.. أنا مش مجرد شيطان بيهمس في ودنك ويمشي. أنا بابني مملكتي، وبلم جنودي من البني آدمين نفسهم. ناس بتعبدني من غير ما تقول اسمي، ناس بتشيل رموزي، وبتنفذ أوامري، وبتسمّي الحرية تمرد، والتمرد قوة، والقوة حق، والحق هو أنا.

أنا اللي قلت زمان: "أنا خير منه".. ودلوقتي بقول: "أنا الإله اللي بيستحق السجود"، مش آدم، ولا حتى رب آدم. أنا مش هكتفي بالوسوسة، أنا عايز عرش، عايز أديان، عايز أتباع.

وهم جايين، أسرع مما تتخيلوا، منهم اللي في الفن، منهم اللي في السياسة ،ومنهم اللي لسه بيدعي إنه بيدور على الحقيقة..

لكن الحقيقة؟

هي إني الإله بتاعهم اللي اختاروه بإيدهم، بضعفهم، بشهواتهم، بغرورهم.

أنا إبليس.. مش اتعاقبت، أنا اتسلمت دور. دوري.. أني آخد معايا أكتر عدد ممكن.

والحرب لسه في أولها.

* * * *

تمت بحمد الله

لمتابعة الكاتبة مريم بيومي:

صفحة الفيس: Maryam M Bayoumi

لينك الفيسبوك:

https://www.facebook.com/share/1AovCdz521/

صفحة الانستجرام:

https://www.instagram.com/meryem_m_bayoumi/?utm_source=qr&r=nametag

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023